15me Année No. 717

Lundi — 31 — 3 — 1947

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٧١٧ « القاهرة في يوم الاثنين ٨ جمادى الأولى سنة ١٣٦٦ — ٣١ مارس سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

معروف الرصافي

للأستاذ عباس محمود العقاد

في هذا الكتاب دراسة أدبية للشاعر العراقي الكبير وبيئته السياسية والاجتماعية كتبها الأستاذ بدوي أحمد طبانة مدرس اللغة العربية وآدابها في دار المعلمين العالية ببغداد.

ونحن نرحب بهذا الكتاب وبأمثاله لأكثر من سبب واحد:

لأن تأليف الكتب عن الشعراء المحدثين بعد وفاتهم سنة حسنة لم نأخذ بها كثيراً في حياتنا الأدبية المصرية.

فقد يشتهر الشاعر ويسير شعره في الآفاق ويلتف به المعجبون والرواة المتشيعون. ثم تنقضي حياته فتنقضي العناية به وبشعره وتطويه كل سنة تمضي بعده في حجاب بعد حجاب، وقصارى ما يبلغه من بقاء الذكر أن يعاد طبع ديوانه إن كانت له ذرية يعنيها طبعه والإبقاء على شهرة صاحبه، أو كان طبع الديوان لا يكلف طابعيه مغرماً ولا مشقة. فأما الدراسة والتحليل وتخليد السيرة في الكتب التي تصلح للمطالعة والتداول فذلك عمل نادر في حياتنا الأدبية المصرية أو معدوم. لأن الذين ظفروا بعد موتهم بالكتابة عنهم لم يكن فضلهم كله مقصوراً على الشعر والعبقرية الشعرية، وكانت شفاعتهم إلى الذكر مناصب الدولة أو غير ذلك من الشفاعات.

ونرحب بكتاب « معروف الرصافي » مرة أخرى لأنه علامة من علامات التقارب بين الأقطار العربية في هذه الآونة التي وجب فيها التقارب بين هذه الأقطار وتهيأت له العوامل والأسباب.

وكثيراً ما سمعنا العتب من أدباء العرب في سورية ولبنان وفلسطين والعراق والحجاز لأن صحف مصر لا تفسح صدورها للتنويه بآثارهم والتعقيب على أعمالهم، فكنا نقول لهم إن شأن أدباء العرب في ذلك كشأن الأدباء المصريين أنفسهم بغير خلاف. لأن الصحافة المصرية لا تكتب عن مؤلفات الأدباء المصريين ولا تتبع أعمالهم بالنقد أو الثناء، ومن المصادفات التي تذكر في هذا الصدد أن كثيراً من الصحف المصرية يتولاها أناس من أصول لبنانية أو سورية، فليس في الأمر تمييز بين أمم العرب بل هو تقصير شامل لكل أمة منها بلا استثناء.

أما إذا رجعنا إلى الشعب المصري — بمعزل عن الصحافة — فقد يكون إقباله على المؤلفات العربية متى وصلت إليه أكثر من إقباله على المؤلفات المصرية، لأنه في هذه الحالة يضيف حب الاستطلاع وحب المجاملة إلى حب التقدير والاستفادة.

فالآن يسرنا أن نرى أديباً مصرياً يتجرد لدراسة شاعر عراقي كبير ويسبق أدباء العراق إلى هذه الدراسة وهي من واجب الأدباء في الأقطار العربية جمعاء، وقد أشار الأستاذ الجليل السيد محمد رضا الشبيبي وزير المعارف السابق بالعراق إلى هذا المعنى في مقدمته للكتاب فقال: « ومما راقني جداً أن يضطلع بها مؤلف مصري فيحوز قصب السبق في هذا المضمار على أدباء العراق » ثم قال: « وقد تصفحت الكتاب فإذا مؤلفه الأستاذ قد ألم بكثير من النواحي التي ينبغي الإلمام بها في هذا الشأن، فلم يفته البحث في بيئة الرصافي ومنشئه وسيرته وفنه وشاعريته إلى غير ذلك.

وقد كون آراءه فى النقد وذكر ما للشاعر وما عليه ، والموازنة بين محاسنه ومساويه فى الشعر والأدب تكويناً لطيفاً يدل على تجرد وإنصاف فى كثير من فصول الكتاب » .

وقد استعان الأديب المؤلف بجميع المؤهلات التى تندبه للكتابة عن شعر الرصافى وأدبه وسيرة حياته . لأنه عاش حيث عاش واطلع على معاهد شعره وسيرته ، وانطوى له على إعجاب يتيح له أن يفهمه وينصفه وأن يعطف على موضوع دراسته .

وربما كان العطف على موضوع الدراسة أول شرط من شروط التأليف فى ذلك الموضوع ، فإن الناقد الذى يدرس شاعراً أو كاتباً أو رجلا من رجال التاريخ كائناً ما كان لا يراد منه أن يتعقبه تعقب الغريم أو يدينه إدانة القاضى أو ينظر إليه نظرته إلى غريب لا يعنيه أمره ويستوى عنده إنصافه وظلمه . وإنما يراد منه أن يشعر بشعوره وأن يخلص إلى بواطن نفسه ، ولا سبيل له إلى ذلك بغير عطف وصداقة نفسية تعينه على الفهم الصحيح .

ولكن هذا العطف لم يمنع الأديب المؤلف من نقد الشاعر حيث يجب نقده فى أدبه أو خلقه كما قال الأستاذ الجليل مقدم الكتاب . فمن أمثلة ذلك أنه أنكر عليه التبذل فى الغزل فقال :

« وله إلى جانب هذا الهوى المتوزع والقلب المتفرق غزل مبتذل ووصف مكشوف لا يتورع فيه الرصافى عن ذكر الخفيات وإبداء العورات فى غير تحفظ ولا احتشام ، مما يأباه العقل الحكيم ويمجه الذوق السليم ، وما كان يليق منه ولا يقبل هذا وهو الذى جعل شعره صورة لمجتمعه وقائداً لأمته ، ولا سيما بعد ما عرف إقبال الناس على آثاره وحفظهم لأقواله » .

وللناقد حق فى هذا النقد المتفق عليه . ولا عذر للرصافى فيما يعاب من تبذله إلا أنه وارث من وراث مدرسة العباسيين فى بغداد . وقد أطلعت تلك المدرسة أبا نواس والبحترى كما أطلعت الشريف وابن المعتز . ولا تحسب أن أدباء العصر فى العراق يعدون هاتين المدرستين فى أسلوب النظم ووجهته . فمن جنح إلى مدرسة الشريف وابن المعتز فهناك اللفظ الجزل والنمط الرفيع والغزل العفيف ، ومن جنح إلى مدرسة أبى نواس فقد يجمح جماحه أو يتبعه فى التمرد وخلع الربقة والرقبة فى بعض الأمور . فيقف عند الثورة على القديم ولا يتطوح معه فى الخلاعة والمجون ...

ولا بد للمدرسة من الجناح المتطرف كما يقولون فى لغة الحرب والسياسة ، فكان الرصافى ذلك الجناح وعليه جناحه ولا مراء !

* * *

على أن الأستاذ طبانة قد أفلح ولا شك فى إبراز محاسن الشاعر وتشويق القراء إلى استقصاء شعره فى مظانه ؛ فإن الشواهد التى أتى بها فى سياق الترجمة إما حسنات أدبية تروق القارىء لما فيها من الظرف والبلاغة والسجايا المأثورة كقول الرصافى يخاطب وطنه :

يا موطناً لست منه فى موادعة
عش بعد موتى عيش الوادع الهانى
فكل من فيك تعنينى سعادتهم ... وكل أبنائك الأعداء إخوانى
إن سرك الدهر يوماً سرنى ، وإذا ... آذاك بالمزعجات الدهر آذانى

أو قوله فى الهجاء :

سود الله منك يا شيخ وجهاً ... غش حتى باللحية السوداء
لو نتفنا من شعرها وغزلنا ... لنسجنا خمسين ثوب رياء

أو قوله فى الرد على من يعيبون ظهور الفتاة على مسارح التمثيل :

وما العار أن تبدو الفتاة بمسرح ... تمثل حالى عزة وإباء
ولكن عاراً أن تريا رجالكم ... على مسرح التمثيل زى نساء

فإن لم تكن الشواهد من هذا القبيل فهى مراجع تاريخية يهم القارىء أن يتابعها للوقوف على مناسباتها ، وهى على الجملة مناسبات الشرق الحديث فى معرض السياسة والاجتماع .

ولم يبرز الأستاذ طبانة فضائل الرصافى وكفى ؛ بل هو قد أبرز من فضائل أهل العراق ما تضرب به الأمثال فى تواريخ الأدب بين جميع الأقوام ، فنحن لا نرى فى تلك التواريخ أمثلة كثيرة لمروءة ذلك المحسن الأريحى السيد «مظهر الشاوى» الذى تكفل بالشاعر فى شيخوخته ومحنته فأجرى عليه أربعين ديناراً مشاهرة مدى حياته ، ولا نرى فى تلك التواريخ وفاء كثيراً كالوفاء الذى ظهر من أهل بغداد فى تشييع الرصافى إلى مثواه .

فكل ما أنكروه عليه أيام حياته من تمرد أو خروج على العرف والعقيدة لم يذكروه ساعة فارق الحياة ؛ بل ذكروا له الفضل وحده غير معتز بصولة الجاه أو حواشى المنصب والثراء ، فشيعوه ألوفاً إلى مقره الأخير .

عباس محمود العقاد

منطقة أنطاكية وخليج الاسكندرونة

للأستاذ أحمد رمزي بك

لمت كناصية الحصان الأشقر نار بمعتلج الكثيب الأحمر
وفتحت أنطاكية الروم التي نشزت معاقلها على الاسكندر
وطئت منا كبهاجيادك فانثنت تلقى أجنتها بنات الأصفر

هذا شعر للأبيوردي خاطب به ملكشاه بن ألب أرسلان حينما فتحت الدولة السلجوقية أنطاكية ، ولست أعرف ركناً من أركان الدنيا برز في التاريخ بروز هذه البقعة من الأرض ، فقد لفتت أنظار الإنسان منذ بدأ يفكر وينظم حياته ، فما تأسس ملك أو سيادة أو ظهرت قوة فنية أو دعوة دينية إلا وجعلت من أول أهدافها امتلاك هذه البقعة التي شهدت مصارع الدول ، وحمل صعيدها أرزاء الحروب وما يتخللها من إزهاق الأرواح ، ذلك تاريخها في القرون الغابرة وهذا عهدنا بها اليوم في تاريخنا الحديث . لقد شغلت رجال السياسة بعد الحرب الماضية واهتمت بمصيرها هيئة عصبة الأمم ، ثم كان من نصيبها أن ضمت إلى أراضي الجمهورية التركية وبقيت معاطول الحرب العالمية الثانية ، وما انتهت هذه أو قاربت نهايتها واستقلت سوريا ، حتى قامت تطالب بها ، ولا يعلم غير علام الغيوب ما تخبئه لها الأقدار والأيام القادمة .

وإذا ورد ذكر هذه البقعة برز اسم مدينة أنطاكية لأنها رأت من السعد والعظمة في زمن ملكها أنطيوكس الكبير (٢٢٣ — ١٨٧ ق . م) ما جعلها سيدة المدن . فكان أن أصبحت حاضرة سوريا وفاقت غيرها في الثروة والعلوم والمتاجر ، ولما دخلت تحت سلطان روما حصل أهلها على حقوق الواطنين في الدولة الرومانية ، وإذا بها قد أصبحت إحدى عواصم ثلاث كبرى : روما والقسطنطينية وأنطاكية .

ولقد حاول بعض مفكري الغرب من الفرنسيين أن يجعلوا من ملك أنطيوكس تتمة لملك الاسكندر ومن أثر عمله تكملة لسلطان الغرب على الشرق ، ودليلا على تفوق العقل اليوناني على العقل السامي ، والصورة التي أعطاها العهد القديم والمؤرخ يوسيفوس للعاهل اليوناني تنبيء بأنه كان ملكا مستبداً جباراً ، فقد ورد عنه في كتاب المؤرخ اليهودي ما يأتي : « إنه دخل مصر بجيش كثيف وعجلات وفيلة وأسطول عظيم فاستحوذ عليها ثم قوي أمره وعظم شأنه حتى استولى على كثير من الأمم وأطاعته ملوك فارس وغيرهم من الملوك فداخله العجب والكبرياء وطغى وتجبر وسبب الكثير من الآلام لأهل الشرق » .

فهذه القوة التي طغت على الشرق يقول عنها الكاتب الفرنسي إنها بقية من عبقرية الاسكندر ، وإن بقاءها كان من ضرورات بقاء الأصلح ، لأنها تحمل قبساً من روح الهيلينية إلى الشرق ، وأنها قوة دافعة منظمة منشئة لأنها أدبت الناس وأخذتهم بالسيف وعلمتهم ما لم يعلموا . ولكن روما لم تلمس الحقائق حين ساقت كتائبها وأخذت أنطاكية مركز هذه الحركة ولذلك لما حطمت الهالك والعروش التي أنشأها أتباع الاسكندر ، كانت تحارب نفوذ الهيلينية في الشرق وكانت تحطم بأيديها سيطرة الغرب على الأمم الشرقية . فروما حينما تنازعت مع أهل أنطاكية وقضت على عظمتهم مهدت لشعوب الشرق عودة ، بدأت بقيام الفرتيين أو البارتيين وهم قوم عرفوا بشدة المراس والصبر على القتال ، وظهرت في غضب اليهود بحركة المكابيين وتطورت بظهور المسيحية ضد هذا التحكم ثم في مذاهبها المختلفة التي يعبر عنها بالكنائس الشرقية ، والتي تعتبر نفثة ضد استحواذ أهل الغرب على المسيحية وهي شرقية في أصولها ومبادئها ومراميها ، وما كان هذا ليحدث لولا اختلاف الكلمة وتعارض المصالح بين روما والاغريق المحتلين لأراضي الشرق ، فلو تم بينهم التعاون والتفاهم والتآزر والتكاتف وما تمليه وشائج القربى ، لما تهيأت الأسباب لقيام الشرق مرة أخرى ، ولما تفاعلت العوامل التي مهدت السبيل أمام جيوش المسلمين فاستولت بعد قرون قليلة على إرث روما وبيزنطة وما أنشأه الاسكندر من مجد وملك قبل ذلك .

وتلك دعوة لها خطورتها لأن معناها أن الخلاف الذي قام بين فرنسا وبريطانيا على سوريا ولبنان يمثل النزاع الذي نشب

بين روما وأهل أنطاكية فى الشرق وأن الامبراطورية البريطانية تلعب اللعبة الخطرة التى أخذت بها الامبراطورية الرومانية منذ عشرين قرناً فهى قد قضت على نفوذ فرنسا وأبعدتها عن سواحل البحر الأبيض المتوسط فى شرقيه ، كما زحزحت روما نفوذ الهيلينية عن هذا الشاطىء ، فكانت النتيجة أن خرج الشرق من تحت سيطرة روما واليونانيين وتقلص حكم الغرب عن أمم الشرق ، فإياكم أن يحدث لكم ما حدث للقدماء من قبل ويخرج الشرق من يد بريطانيا وفرنسا على السوء .

وإنما سقنا هذا الحديث للتدليل على أثر هذه البقعة من الأرض فى عقول القوم من ناحية السيطرة الفكرية والرغبة فى التحكم على مقادير الشعوب من شباك يطل علينا ويثير لنا الكثير من المشاكل . ولقد نظرنا إليها من الوجهة التى يرى بها رجل الفكر الغربى فلنجرب نظرة رجل الدين .

كانت أنطاكية مثل الاسكندرية ميداناً للتنازع بين الوثنية والمسيحية ، ذلك التنازع الذى انتهى بانتصار الفكر السامى ممثلا فى تعاليم مُعلّم الناصرة ، ولكن أنطاكية فاقت الاسكندرية فى ناحية أثرها فى حياة المسيحية ، فكلتا المدينتين أوتيت حظها من حياة الترف واللهو والخلاعة والتغاضى عن الفضيلة . ثم قامت فى كل منهما دعوة للخير والصلاح وترك الدنيا والابتهال إلى الله ، ولكن النكبات المتتالية وخصوصاً الزلازل المدمرة جعلت أهلها فى حيرة منها ، وأخيراً قرّ رأيهم على أن يطلقوا على أنطاكية إسم « مدينة الله » وتحصنوا بالفضائل وجانبوا الرذائل وتقربوا بهذا لله زلفى ؛ وكان أن عرفت مدينتهم وسط مدن العالم بأنها حازت سلطان الحياة الدينية ، وإذا بكرسيها يتلألأ وسط كراسى ملكوت السماء ، ويقول عنها الناس : ليس فى المسيحية كلها بعد روما سوى أنطاكية الخالدة .

ولذلك لا تعجب إذا وجدت عدداً من رؤساء الطوائف المسيحية يضمها فى المكان الأسمى من نعوته وألقابه الكهنوتية فيقول كل منهم إنه صاحب كرسى أنطاكية وسائر المشرق . وهم على حق فى ذلك لأن أنوار المسيحية أشرقت على الأرض من هذه البقعة ، وانتقلت من مواجهة إسرائيل إلى مواجهة الدنيا ، وفى ذلك يقول القديس لوقا : « وكان الذين تبددوا من أجل الضيق قد اجتازوا فينيقية وقبرص وأنطاكية وهم لا يكلمون أحداً بالكلمة إلا اليهود ، ولكن قوماً منهم كانوا قبرصيين وقيراوتيين فهؤلاء لما قدموا أنطاكية أخذوا يكلمون اليونانيين مبشرين بالرب يسوع » .

فى أنطاكية تحولت الدعوة إلى حركة عالمية . فهذا أثر من تأثير هذه البقعة الفريدة ، التى كانت قبلة الدنيا ومجمع مدنية الشرق مع مدنية الغرب ، ولو أدركتها المسيحية وهى فى إبان مجدها وسطوتها ؛ أى لو تقدمت قرنين من الزمن حينما كانت أنطاكية حاضرة سوريا وقد فاقت قرطاجنة وصور وصيدا ، فالأغلب على الظن أن كانت تأخذ أنطاكية فى عالم المسيحية مكان روما .

ويجمع المؤرخون على أن أنطاكية كانت مركزاً هاماً للدعوة المسيحية فى القرن الرابع وإن كان هناك من يقرر بأنها كانت منذ البداية أول مركز أرسل منه المبشرون المسيحيون إلى أقطار العالم ، وظهر فيها القديس يوحنا فم الذهب بل كانت مسقط رأسه وسطعت فيها أعماله ومعجزاته ، وكان أهلها مائتى ألف نسمة دخل نصفهم فى الدين الجديد وتصدروا الدعوة إليه ، ولذلك تذكرها الكتب المسيحية بأنها المدينة الأولى فى العظمة بعد روما ، وأنها تأتى فى تاريخ الكنيسة بعد القدس ، وهذا ما جعلها مكاناً يؤمه أهل التقوى والصلاح والعبادة ويهرع إليها الزوار لرؤية ما كانت تحويه من قبور القديسين والأبرار وما عرف عنها من العجائب والمعجزات .

فدينة هذا تاريخها يأتى ذكرها دائماً فى الكتب المقدسة وفى تاريخ الكنيسة ويتكرر هذا الإسم فى الطقوس والصلوات ويرد فى ألقاب رجال الدين من مختلف الطوائف والمذاهب ، لا شك فى مكانتها وعظمتها واحترامها فى قلوب الناس ، وإن مجرد ذكر اسمها يحرك ذكريات عزيزة على النفس ، وهذا ما تؤكده الآيات الواردة فى أعمال الرسل . « ثم خرج برنابا إلى طرسوس فى طلب شاؤل ولما وجده أتى به إلى أنطاكية ، وترددا سنة كاملة فى هذه الكنيسة وعلّما جماً كثيراً حتى أن التلاميذ دعوا مسيحيين بأنطاكية أولا » .

أحمد رمزى

حديث عن دمشـــق

للأســـتاذ على الطنطاوى

دخلت مخزناً أمس أشترى منه شيئاً ، فسمع لهجتى الشامية شيخ همّ كان هناك ، أبيض الشعر كأن رأسه ولحيته الثغامة ، فالتفت إلىّ وقال :

— أنت من دمشق ؟

— قلت : نعم .

فسطع على وجهه نور ، وبرق فى عينيه بريق ، وبدت على جبينه ظلال ذكريات حلوة ، مرت فى رأسه ، وأخذ بيدى هاشاً لى باشاً بوجهى ، فأقعدنى معه ، وقال لى :

أهلا بك ، أهلا وسهلا ، تشرفنا يا ولدى ، فتعال . تعال حدثنى عن دمشق ، فقد طال عنها ابتعادى ، وزاد إليها اشتياقى ، حدثنى عن سهلها وجبلها ، عن غوطتها وربوتها ، عن (الميزان) . ألا يزال الميزان مثابة الطهر ، ومعبد الجمال ، وجنة الدنيا ؟ ألا يزال السراة والتجار يصلّون الصبح كل يوم ويخرجون إليه ، يقضون فيه حق النفس بالتأمل ، كما قضوا فى المساجد حق الله بالصلاة ، فيجمع الله لهم الجنتين ، ويعطيهم نعيم الدارين ؟ ألا يزال زاخراً بحلق الأحباب ، وجماعات الصحاب ، عاكفين على (سماورات) الشاى الأخضر (وسْكى) المسلمين ، يشرفون على (قنوات) و (باناس)[1] وهما يخطران على العدوة الدنيا متعانقين متخاصرين فعل الحبيبين فى غفلة الرقيب ، يمشيان حالين خلال الورد والفل والياسمين ، كزوجين فى شهر العسل ، يظهران حيناً ثم تشوقهما الخلوة ، فيلقيان عليها حجاباً من زهر المشمش والدراقن والرمان ، وعلى العدوة القصوى زوجان آخران حبيبان ، يمضيان يتناجيان ويتخالسان القبل : (يزيد) و (تورا)[1] ؟ وبردى ! ألا يزال يدبّ فى قرارة الوادى على عصاه ، ينظر باسماً إلى بنيه ثم يلوى عن مشهدهم بصره ، وينطلق فى طريقه لا يبالى . عاف الحب وملّ الغرام ، وعلّمته تجارب العمر ، أن كل ما فى هذه الحياة باطل ، إلا ذكر الله والعمل للآخرة ، كله لعب ولهو ومتاع زائل ؟

(١) من فروع بردى السبعة .

وقاسيون الجدّ العبقرىّ الذى عاش عشرة ملايين سنة وما انفك شاباً ، وشاخ ابن أخيه بردى ولم يشخ ، ألا يزال قاسيون قاعداً قعدة ملك جبار ، قد رفع رأسه ومدّ ذراعين له من الصخر ، فأحاط بهما دمشق وغوطتها ، من الربوة إلى برزة ، ووطأ لها ركبته فنامت المدينة عليها ، كما تنام الحبيبة إن أضناها النعاس على ركبة الحبيب ، واحتمت الصالحية بصدره كما يحتمى الطفل الوليد بصدر الأم الرؤوم ؟ والشمس ! ألا تزال الشمس تضحك لبردى وأبنائه ، وتستحم أنوارها فى مائه ، وتسبح أشعتها فى سمائه ؟

و (صدر الباز) و (مصطبة الأمبراطور) و (الصوفانية) و (الشاذزوان) ؟ حدثنى عنها ... حدث عن دمشق ، ألا يزال الناس يعيشون فى دمشق للخير والجمال ؟ ألا يزال التجار يخرجون من صلاة العصر ، فيغلقون دكاكينهم ويمضون إلى بيوتهم ، إلى أولادهم وأهليهم ، ثم يتمشون المغرب ، ويؤمّون المساجد فإذا صليت العشاء خرجوا ، فمنهم من عاد إلى داره ومنهم من ذهب إلى الدرس ومنهم من مشى إلى (الدَّوْر) ...

قل لى : ألا تزال (الدَّوْر) يجمع الإخوان المتآلفين ، والأحبة المتصافين ، يسمرون كل ليلة فى منزل واحد منهم ينشدون الأشعار ويسوقون النوادر ، ويروون المضحكات ، ويطالعون الكتب ، ويتجاذبون الحديث ، ويأكلون ألوان الحلويات ؛ ويشربون الشاى ، ثم ينصرفون إلى دورهم ، وقد استمتعوا أوفى ما يكون الاستمتاع ، وسروا أكثر ما يكون السرور ، وما غشوا قهوة ، ولا أمّوا ملهى ، ولا جالسوا غريباً ، ولا أتوا محرماً ، ولا أنفقوا فى غير وجهه مالا ؟

ألا تزال منازل المشايخ فى (زقاق النقيب) و (حمام أسامة)[1] و (القيمرية) معاهد إرشاد ، ومدارس علم ، ودارات ملوك ؟ قل لى : من بقى من تلك الأسر العلمية ؛ آل حمزة وآل عابدين والطنطاوى والعطار والخانى والطيبى والشطى والأسطوانى والكزبرى والعمادى والمحاسنى والمنينى والخطيب ؟ ألا يزال فيها العلماء الأعلام أم تنكب الخلف طريق السلف ، واستبدلوا الدنيا بالدين ، والمال بالعلم ، والمنصب بالتقوى ؟ والعلماء ألا يزالون أعزة

(١) عامة أهل الشام يسمونه حمام سامه بالامالة وخاصتهم يظنونه حمام سامى، ولايدرون من سامى هذا ، والحقيقة أنه منسوب إلى البطل المشهور أسامة بن منقذ .

بالدين ، يعرضون عن الملوك فيسعى إلى أبوابهم الملوك ، ويزهدون الدنيا فتقبل عليهم الدنيا ، ويهربون من الولايات والمناصب فتلحقهم المناصب والولايات ؟ ألا يزال الناس يعكفون في دمشق على العلم لا يريدون به إلا الله والدار الآخرة ، يثنون لذلك ركبهم ويحيون ليلهم ، ويكدون نهارهم ، ويقنعون في أيام الطلب بما سد الرمق ، وحمل الجنب ، وستر العورة ، لا يسألون عما غاب من ذلك أو حضر ، قد فكروا في غيره ، وأقبلوا على سواه ، فكان العلم أملهم ، وكانت المطالعة شغلهم ، وكان ثواب الله مبتغاهم ، قد صغرت الدنيا في أعينهم حتى إنهم لم يروها ليتكالبوا عليها ، ويذلوا من أجلها ، و(يضربوا) عن التعلم إن لم يصلوا إليها ؟ ألا تزال هذه المدارس عامرة ، يجيئها الطالب ؛ فينام في غرفها ، ويستمع من مشايخها ويأكل من أوقافها ، ويجعلها دنياه لا دنيا له وراء جدرانها : العمرية والرادية والنورية والبادرائية والقليقجية ودار الحديث وجامع التوبة وباب المصلى والدقاق ومدرسة الخياطين وأمثالها . ألا تزال زاخرة بالطلاب عامرة بالعلم، عاملة للاصلاح ؟

ومنازل دمشق ! ألا تزال تلك المنازلَ الواسعة الصحون ، ذات الظل والماء ، والبرك والنوافير ، والأشجار والزهور ، والدوارين والمجالس ، والصيانة والستر ، فهي من خارجها مخازن تبن ، ومن داخلها جنات عدن ، وهي مصيف ومشتى ، وهي مسكن وملهى ، وهي دار وبستان .

ألا تزال في دمشق الأسرة كلها تعيش في المنزل الواحد : الجد والأب والأعمام والأولاد ، ونساؤهم وأولادهم ، ثم لا تجد خلافاً ولا شقاقاً ، ولا دساً ولا كيداً ، الصغير يوقر الكبير ويطيعه ، والكبير يرحم الصغير ويحبه ، وكل يؤثر على نفسه ، ولا يحب لغيره إلا ما يحب لها ؟

ألا تزال المرأة لبيتها ولزوجها ، لا تقيس الطرقات ، ولا تقصد الأسواق ، ولا تعتاد منازل الخياطات . إن احتاجت شيئاً اشتراه لها بعلها ، وإن أرادت زيارة أهلها ذهب معها ، وإن اشترت ثوباً خاطته بنفسها ، والحجاب سابغ ، والشهوات مقموعة ، والزواج شامل . لا يبلغ الولد عشرين إلا وله ولد ، ولا تصل البنت إلى الثامنة عشرة إلا ولها ولدان ؟

والبوابات ! هل زالت البوابات ، التي كانت تغلق كل ليلة بعد العشاء وتسد الطرقات في وجوه لصوص الأموال والأعراض فلا تفتح إلا لقاصد بيته ، أو ذاهب في حاجة مشروعة ؟

والأحياء ! ألا يزال في كل حيّ عقلاؤه وسادته ، يسمون لخيره ، ويعينون عاجزه ، ويسعدون فقيره ، ويأخذون من فضل مال الغني ما يسدّ خلة المحتاج ، وإذا رأى أحدهم غريباً في الحي سأله من هو وما يكون ، فلا يدخل الحي إلا رجل شريف . وإن شاهد امرأة متبرجة نصحها وزجرها ، وبحث عن وليها ليحميها . وإن علم بأن داراً ترتكب فيها فاحشة ، عقد مجلساً فدعا المؤجر والمستأجر وكانت المحاكمة التي لا تؤدي إلا إلى منع الفاحشة في غير ظلم ولا عدوان ، فكان الحي كله كالأسرة الواحدة ، وكان البلد مجموعة أسر كلها خيّر فاضل نبيل ؟

ألا يزال الناس على وئام وسلام ، فلا نزاع ولا خصام ، يعرف كل منهم حقه فلا يطلب إلا أقل منه ، ويعرف ما عليه فلا يقصر في أدائه ، وإن اختلفوا رجعوا إلى العالم ورضوا بحكمه لا يعرفون المحكمة إلا إن استحكم الخلاف ، وقلما كان يستحكم الخلاف ؟

ألا يزال القاضي الشرعي مرجع كل خصومة ، ومصدر كل حكم ، يحكم في كل قضية بشرع الله ، فلا تطويل ولا تأجيل ، ولا مراوغين ولا محامين (١) ؟

ألا يزال كل ما يحتاج إليه الناس يصنع في دمشق ، فلا يأكلون إلا حاصلات بلادهم ، ولا يلبسون إلا نسيج أيديهم ، ولا يتداوون إلا بعشب أرضهم ، لا يدفعون أموالهم إلى عدوهم ، ولا يعينونه بها على أنفسهم ؟

ألا يزالون سعداء راضين ، قد انصرف العالم لعلمه ، والتاجر لتجارته ، والطالب لدرسه ، والمرأة لبيتها ، لا يشتغل أحد بغير شغله ، ولا يدخل فيما لا يعنيه ، قد تركوا السياسة لنفر منهم أخلصوا لهم فوثقوا بهم ، ورأوا أمانتهم فأعطوهم طاعتهم ، ورأوهم لا يسرقون مالهم ، ولا يمالئون عدوهم ، ولا يضيعون مصالحهم ، فلم ينفسوا عليه زعامتهم ، ولا ضيقوا عليه مكانتهم ؟

فقلت للشيخ : منذ كم فارقت دمشق يا سيدي ؟

فتنهد وقال : منذ سنة ١٨٩٧ ، فارقتها شاباً ، ولم أدخلها بعد ذلك أبداً .

---

(١) معذرة يا سادتي المحامين ؛ فقد جرتكم القافية ليس إلا ... وحكم على الشيخ المحدث لا على أنا .

فرحت الشيخ أن افجعه فى أحلى ذكرياته ، وأن أطمس فى نفسه أجمل صور حياته فتلطفت فودعته، ولم أقل له شيئاً ، وماذا أقول؟

أأقول له : إن أهل الشام قد انصرفوا عن صدر الباز والبزان والصوفانية والشاذروان وأهملوها حتى صارت مزابل ، لأنهم آثروا عليها المباسية والهافانا وشهر زاد ونادى الصفا ؟

وأنهم هجروا منازلهم التى كانت جنات ، ليسكنوا كالإفرنج فى طبقات كأنها سجون أو مغارات ، وأن أبناء العلماء الأتقياء ، صاروا من الفساق الجهلاء ، وأن مدارس العلم هدمت أو سرقت ، وأن غرفها احتلت لتكون مساكن أو قهوات أو مخادع شهوات ، وأن طلبة العلم الدينى يطلبونه للمناصب والمراتب والأموال والرواتب ، وأن الأسر انصدع شملها ، وتفرق جمعها ، وأن النساء ملأن اليوم الطرقات ، وأممن المخازن والسينمات ، وعاشرن الشبان فى المدارس والملهيات ، وأن البنات كسدن فى البيوت ، لما آثر الشباب الحرام على الزواج ، والسفاح على النكاح ، وأن الأحياء غلب عليها سفهاؤها ، وضعف عن حكمها عقلاؤها . وأن الناس اختلفوا وتنازعوا ، وفشا فيهم الغش والخداع ، وأن المحاكم هجرت شرع الله وحكمت بقوانين فرنسا . وأن الناس تركوا أشغالهم واشتغلوا بالسياسة . وأن الزعماء طلبوا المال والجاه ، وآثروا مصالحهم على مصالح الناس . وأن الموظفين غلبت عليهم الرشوات والبراطيل والسرقات ، وأننا تركنا مصنوعات بلادنا وكرهنا أزياءها ، وتعلقنا بأذناب الغربيين ، وأعطيناهم أموالنا . وأنه قد ارتفع الوفاق وحل الشقاق ، وذهب الرخاء وجاء السخط ، فالرجل يختلف أبداً مع زوجته ، والأب ينازعه ابنه ، والشريك يسرقه شريكه ، وليس فينا راض ولا قانع ولا سعيد ، ما فينا إلا شاك باك ، كاره الحياة ، متمن الموت ... ثم إننا لم نحس أن هذا كله من لعنة هذه المدنية الغربية ، ومن ثمراتها المرة التى لا يمكن أن تثمر غيرها ...

ولكن لا ، فإن فى دمشق خيراً كثيراً ، لا يعرف خيرها إلا من يعيش فى غيرها ، إن دمشق التى يصفها الشيخ لم تمت ، ولا تزال تتردد ذماؤها ، فإما أن تنعشها (رابطة العلماء) ويمدها الإخلاص بالقوة حتى تنقذها ، وإما أن يغلب القضاء ، فيموت المريض تحت يد الطبيب ... ...

ولن تموت دمشق الإسلامية بحول الله أبداً !

على الطنطاوى

خواطر مسجوعة :

فلاح مصر ...

فلاح مصر أسخى على أهلها ، من نيلها ؛ فالنيل يجود بمائه ، وهو يجود بدمائه ؛ خالعاً شبابه على الغبراء ، ليراها جنة خضراء !

فلاح مصر جندىٌ لا يسفك الدماء ، ولا يهدم البناء ؛ جندىٌ يعمر . . . ولا يدمر ؛ جندىٌ يتفانى . . . ولا يتوانى ؛ جندى متصل العزمات ، فى السلم والأزمات ؛ فكل جد يتضاءل أمام جده ، وكل فرد — وإن علا — يعيش من ثمرات كده . . ! معروفه يغمر بلاده ، ونعمته فى كل عنق قلاده . . . !

فلاح مصر هو — وحده — الذى يشبه الناس شكلاً ونفساً ، والحديد فعلاً وبأساً . وهو — وحده — الراضى بالقليل ، الذى لا يبغى جزاء سوى القوت الضئيل ؛ وإلاّ فمن سواه ، يُلقى فى التراب قواه ؟ ومن غيره ، يفيض خيره ، بعد أن يزرع الجميل فى الثرى ، ويسقى بالعرق قبل الماء ، حقول القرى ؟ ؟ ! لو أن للأرض لساناً لأثنت عليه ، وقبلت يديه ؛ ولكنّ الإنسان ، يجحد الإحسان !

فلاح مصر صبور لا يخشى الهجير ، ولا يفر من الزمهرير . يبكر والمترفون فى النُّرُف ، لا يشاركهم الراحة والترف . من شيمه التواضع والإيثار ، فى اليسر والإعسار . فتراه خشناً فى جسمه وعزمته ، فى ثوبه ولقمته ، فى بيته وعيشته ليناً فى عطفه الرائع ، وقلبه الطائع ، وحقه الضائع ... !

ليتنى ياسيدى الفلاح الكريم ، أملك ما أقدمه اعترافاً بفضلك العظيم ، لم أملك سوى الكلام ، فعليك السلام !

(الزنكلون) **عامر بحر**

الشاعر خليل مطران

للأستاذ حبيب الزحلاوى

جسم نحيل معروق، ونظرات لامعة أخاذة، وصوت مبحوح لاهث من حنجرة صلبتها الأعوام الثمانون وقد ناهزها، وهو بالرغم منها على أحسن ما يكون من اتقاد الذهن، ومضاء العزيمة، وخصب الإنتاج.

يمتاز مطران بالخلق الكريم، والحديث العذب، والسعى فى الخير، ثم بشاعرية فريدة فى نوعها.

يعود خلقه الكريم إلى أرومته الكريمة وتربيته الارستقراطية المترفعة وإلى تجربة هادئة ترى المداورة والصبر والاتئاد فى التصعيد لبلوغ القمة خيراً من الانقضاض عليها كالنسور الجبارة.

وهو محدث بارع ينضح من ينابيع غزيرة واطلاع ثقافى عام من أدب العرب والإفرنج قديمه وحديثه، لا يتفلسف مع الفلاسفة، ولا يتعالم مع العلماء، ولا يشمل مصباحه للعميان، يعطى من أدبه بقدر حاجة الطالب، ويهبط أو يرتفع وفق فهم السامع وإدراكه، وهو عف اللسان، نصير الغائب، قليل الغضب، كثير التسامح.

من سجاياه سعيه للخير، وهو يتراخى وقد يتكاسل فى السعى لخيره الخاص، ولكنه لا يتوانى ولا يتقاعس فى السعى لفك ضيق، أو حل مشكلة، أو دفع نازلة، أو إزالة خصومة، أو تزويج فتاة من أية طائفة أو ملة كانت.

يعطى المعوز ما يستدره من مال الغنى، وينتزع الدراهم من الشحيح البخيل ويأخذ الدينار من السخى الكريم يقيل بهما عثرات العاثرين.

ما قامت جمعية للبر، أو مؤسسة للخير، أو دار للشفاء، أو تألفت جماعة لعمل من الأعمال إلا وكان مطران من أوائل القائمين بها، وما نشأت بين السوريين واللبنانيين منشأة إلا وكان مطران من الساعين إلى إنشائها، وما شجر بين الطامعين أو بين محبى الظهور شجار على رئاسة أو عضوية فى مجلس إلا وكان مطران أول المتنازلين عن الرئاسة أو العضوية حباً باحلال الوئام محل الخصام ...

هو ذا مطران الإنسان وقد حدد أمنيته فى الحياة بقوله: « أمنيتى أن أجتاز طريق دون أن أسيء إلى أحد ».

مشى مطران وشوقى وحافظ فى جادة أدبية واحدة، وما لبث أن سلك كل منهم مسلكا خاصاً به، وأزعم أن لا مناص لمن يتصدى لدراسة شعر مطران عن معالجة أربعة أنواع من الشعر انفرد بها مطران وحده دون معاصريه من الشعراء.

الأول: شعر المناسبات وينطوى فيه تاريخ حقبة من الزمن تبتدئ فى الربع الأخير من القرن الماضى تشمل الأحداث الاجتماعية والشخصية والفردية.

الثانى: الوصف وفيه صورة تريك الموصوف كما براه خالقه وكما كيفته الطبيعة حساً ومعنى.

الثالث: التحليل وهو ملاحم كبرى خص بها عظماء التاريخ وشعوبه وما كانوا عليه من صفات وخلائق وسجايا، وما فى فطرتهم من ظلم وجور وطغيان.

الرابع: إبراز أقيسة اللغة ومقادير ثروتها فى المفردات للتعبير عن ملكات النفس.

تجمع لمطران من شعره ما يملأ سبعة دواوين معدة للطبع منها واحد للأراجيز فى أدب النفس، وترجم عن الفرنسية ثلاث عشرة رواية تمثيلية لشكسبير وراسين وكورنيل وهيجو وترجم أيضاً كتاب الموجز فى علم الاقتصاد فى خمسة أجزاء وألف كتاب « مرآة الأيام فى التاريخ العام »، ولم تخل صحيفة خلال هاتيك الأعوام، على مر الأيام من بحث أو درس أو تقريظ أو نقد لمطران، ولم يعتب منبر نصب فى مجمع للأدب أو للخير أن لم يعتله مطران.

هو ذا شاعرنا الذى تحتفل به الأمم العربية اليوم فى مصر، وهذه لمحات خاطفة من أدبه الخالد وخلقه الكريم.

حبيب الزحلاوى

مراجعات في الفلسفة :

نظرية المعرفة عند شوبنهور

للاستاذ عبد الكريم الناصري

يستهل شوبنهاور (١٧٨٨ – ١٨٦٠) أثره الرئيسي « العالم كإرادة وفكرة » بقوله : « العالم فكرتي » . ولأجل أن يفهم معنى هذا القول على وجهه الصحيح يحسن بنا أن نقدم له بكلمة موجزة في نظرية المعرفة عند فيلسوفين ، أحدهما إرلندي هو بركلي (١٦٨٥ – ١٧٥٣) ، والآخر ألماني هو كانْتْ (١٧٢٤ – ١٨٠٤) .

ونظرية الأول تتلخص في عبارته المشهورة : « وجود الشيء أن يدرك » أو « الوجود هو الإدراك » . فقد كان « لوك » ميز بين « الكيفيات الأولية » و «الكيفيات الثانوية» للموضوعات الخارجية . فالأولى ، كالامتداد والشكل والحركة ، توجد في الأشياء أنفسها بصرف النظر عن العقل . أما الثانية ، كالألوان والأصوات والروائح ، فلا وجود لها خارج الحس والعقل المدرك .

وقضى بذلك على فكرة « الجوهر المادي » وجعل العقل هو المحل أو الحامل للموضوعات ، وكل ما تتصف به ، من امتداد وشكل وحركة وزمان وأصوت وأضواء وألوان . فكل هذه الأمور لا يمكن أن تقوم ، أو تُتصور ، مستقلة عن الذات المدركة ؛ ومن هنا كان من المناسب تماماً أن تدعى « أفكاراً » . ويقول بركلي هنا : إن أحداً لا ينازع في أن ذكرياتنا وتصوراتنا وتخيلاتنا إنما توجد في الذهن ، ولا يمكن أن توجد بمعزل عنه ؛ ولكن لا يقل عن هذا بداهة أن الإحساسات أي « الفكرات » المطبوعة على الحس ، على اختلاف مركباتها ، أي الموضوعات الخارجية المركبة منها ، لا يمكن أن توجد إلا في ذهن مدرك . وتتضح هذه الحقيقة كل الوضوح حين نتدبر معنى لفظة « الوجود » أو «الموجود» كما تطلقان على موضوعات الحس . فما عساي أعني حين أقول إن هذه المائدة موجودة ؟ أتراني أعني شيئاً غير أني أبصرها وأحسها ؟ وإذا كنت خارج الغرفة ، وقلت إن المائدة موجودة ، أتراني أعني شيئاً غير أنني لو كنت في الغرفة إذن لأبصرت بها ، أو أن هناك ذهناً آخر يدركها ؟ — لقد كانت ثمت رائحة : هذا معناه أني شممتها ؛ كان ثمت لون أو شكل ، أي أني أدركته بالبصر أو اللمس . هذا ، كما يقول بركلي ، هو كل ما يمكن أن يفهم من أمثال هذه التعبيرات . أما القول بوجود الموضوعات المادية وجوداً مطلقاً فقول متهافت ، غير مفهوم أبداً . فإن وجود (esse) الأشياء أن تدرَك (Percipi) ، ولا يمكن أن يكون لها أيُّ وجودٍ خارج الأذهان التي تدركها[1] .

ومن هنا فالمعرفة تتألف من عنصرين مختلفين ، هما الموضوع أو الفكرة المعروفة ، أو الذات العارفة . وليس يوجد إلا المدرَك أو المدرِك .

ولنلاحظ هنا أن كون الموضوعات المحسوسة فكرات في العقل لا ينفي ما بينها وبين الأخيلة والتصورات من فروق هامة ؛ كما أن إنكار «الجوهر» المادي لا يعني إنكار واقعية العالم المادي ، وإنما معناه إنكار أن تكون هذه الواقعية مستقلةً عن العقل ، وأن يكون للموضوع المادي وجود مطلق لا يتوقف على الذات المدركة .

ونظرية شوبنهاور في العالم الخارجي لا تختلف في جوهرها عن نظرية الأسقف العبقري ، ومع ذلك فإنه يسلك إلى نظرية المعرفة طريق « كانت » ، ويستعير من مؤسس « النقد » لغته وأسلوب تفكيره . فلا مفرَّ إذن من إلقاء نظرة ، ولو عامة خاطفة ، على نتائج نقد العقل الخالص (النظري) ، بمقدار ما تتعلق هذه النتائج بموضوعنا .

لقد وضع « كانت » حداً حاسماً بين الشيء في ذاته ، أو العالم المعقول ، وبين الظواهر ، أو العالم المحسوس . فالأول خارج المكان والزمان ، وخارج نطاق المعرفة الإنسانية ، أما الثاني فزماني مكاني بالضرورة ، وداخل في نطاق المعرفة ، والمعرفة العلمية مقصورة عليه ، لا يمكن أن تتخطاه ، فلا علم إلا العلم «بالظاهر» وقوانينه . وإنه لعلم صحيح ضروري ، لهذا السبب : وهو أن العقل نفسه هو الذي يبدع عالم الظواهر ، أو يشارك على الأقل في إبداعه ، ويسنّ له قوانينه ، ويخلع عليه شكوله الثابتة .

(١) جورج بركلي : «مبادىء المعرفة الانسانية» — الفقرة (٣) .

فالعالم المحسوس يقوم بالضرورة فى إطارين : هما المكان والزمان . ولكن هذين الإطارين لا يرجعان إلى الأشياء فى أنفسها ، وإنما هما « صورتان خالصتان » لحساسية العقل : مبدآن فطريان قبليان ، لا وجود لهما خارج الذات الحاسة المدركة . إنهما فى الواقع « أسلوبان » أو « وسيلتان » لإدراكنا الأشياء ، فلا سبيل إلى إدراك هذه إلا إذا دخلت فى المكان والزمان ، وانطبعت بهذا الطابع العقلى الأجنبى عنها ، وتحولت بذلك عن طبيعتها الأصلية ، إنهما شرطا إمكان الإدراك والمعرفة ؛ وبما أن معرفة الموضوعات هى ما ندعوه «بالتجربة» فالمكان والزمان إذن شرطا إمكان التجربة ، وعليهما تتوقف كل تجربة ، واقعة أو ممكنة ، فلا يمكن أن يكونا مشتقين من التجربة ، لأن الشرط يتقدم على المشروط ، وإنما هما سابقان عليها أو هما « قبليان » . ولذلك ترانا نستطيع أن نتمثل المكان والزمان خاليين من كل موضوع ، تمثلا عيانياً مباشراً ، ولكننا لا نستطيع أن نتمثل الموضوعات بمعزل عن الزمان والمكان . ومؤسس النقد يسمى هاتين الصورتين ، معتبرتين فى نفسيهما ، «بالعيان الخالص» كما أنه يسمى الإدراك الحسى « بالعيان التجريبى » . وهذا الأخير يتوقف على شرطين : أولهما أن تقبل الحساسية أو تتسلم من « الخارج » تأثرات مختلفة ، صادرة عن الموضوع الحقيقى أو الشىء فى ذاته ؛ وثانيهما أن تترتب الإحساسات الناشئة عن التأثر فى صورتى الزمان والمكان ، إذا كان العيان يتعلق بالموضوعات الخارجية ، أو فى الزمان وحده ، إذا كان يتعلق بتعيناتنا الباطنة .

والظواهر الناشئة عن العيان تترابط برباط العلية ، وتبدو على هيئة كميات وكيفيات ، ونسب وعلاقات ، وجواهر وأعراض ؛ ولكن جميع هذه التعينات لا ترجع إلى الأشياء فى ذاتها ، وإنما هى أشكال أو « مقولات » ذهنية قبلية ، نتصور العالم ونفهمه على نحوها . والقوة أو الملكة العقلية التى تقوم بهذا الدور هى « الذهن » (أو « الفهم ») ، كما أن حساسية العقل ، أو قدرته على قبول التأثرات ، هى التى تقوم بالعيان أو الإدراك . وقد قرر « كانت » أن هناك اثنتى عشرة «مقولة» أو «تصوراً خالصاً» ، تكون ، مع المبادىء القبلية اللازمة عنها ، ومع المكان والزمان ، شروط إمكان التجربة . وتندرج المقولات ، ثلاثاً ثلاثاً ، تحت أربعة عناوين أساسية ، وتؤلف بذلك مقولات « الكمية » و« الكيفية » و « النسبة » و « الجهة » . ولا حاجة بنا إلى التحدث عن هذه المقولات ، ما دام شوبنهاور نفسه قد نبذها جميعاً ، إلا مقولة واحدة : هى « العلية » . وحسبنا أن نشير — فى ختام هذه الخلاصة لمذهب « كانت » — إلى نقطتين أساسيتين فيه ؛ أولاهما أن عالم الظواهر متوقف برمته وبغير استثناء على الذات وشكولها القبلية وأن عالم الأشياء فى ذاتها (أو بالأحرى عالم « الشىء فى ذاته » ، ما دام أن « الكمية » مقولة ذهنية) مستقل عن الذات وصورها الفطرية ، ولسنا نعرف ، ولا يمكن أن نعرف ، عنه شيئاً ؛ فهو «س» مجهولة . والنقطة الثانية أن قيام الظاهرة مشروط ، مع ذلك ، بتأثير الموضوع أو الشىء فى حواسنا .

وقد هوجمت فكرة الشىء فى ذاته منذ ظهورها هجوماً عنيفاً . كيف يزعم « كانت » أن الموضوع « يؤثر » فى الحساسية ، وأن تأثيره ضرورى لحصول الإدراك ، مع أنه يؤكد فى «التحليل المتعالى» أن المقولات ، كمقولة الجوهر والواقع والعلية ، لا تصح وراء عالم التجربة الممكنة ، عالم الزمان والمكان ؟ إن العلية تتعلق بالظواهر وحدها ، فليس من حقنا أن نطبقها على ما هو خارج الظواهر ، وليس لنا أن نصف الشىء فى ذاته بأنه علة للظاهرة ، بل ولا أن نقول بوجوده أصلا . إذ من أين لنا أنه موجود ، وعلمنا محصور فى دائرة التجربة ؟ وكيف نزعم أنه « س » مجهولة ثم نقول إنه موجود ، وإنه علة الظواهر ؟

كذلك انتقد « الشىء فى ذاته » ؛ ومن جملة ناقديه « شولتسه » أستاذ شوبنهاور ، و « فشته » الذى أنكر ، بناء على هذا النقد ، أن يكون ثمة حقيقة مطلقة خارج « الذات » ، وانتهى من ذلك إلى أن الشىء فى ذاته هو الذات أو الأنا ؛ فالأنا المطلق اللامتناهى يضع نفسه بنفسه ، ويضع اللا أنا أو العالم الخارجى . على أن فشته ، كما يلاحظ شوبنهاور ، لم يزد على أن جعل الذات « علة » للعالم الموضوعى ، مع أن العلية هى الصورة القبلية لكل موضوع مدرك فقط ، فلا يمكن أن تعدو عالم الموضوعات إلى العلاقة بينه وبين الذات .

وعلى أن شوبنهاور يأخذ بالنقد الموجه إلى فكرة الشىء فى ذاته بحسب مفهومه عند كانت فإنه لا ينتهى من ذلك إلى إنكاره

وإبطاله ، وإنما هو بضد ذلك يقر « كانت » على القول به ، ووراء ما رآه سلفه العظيم المطلق الكامن وراء عالم الظواهر . وإنما الذي يأخذه عليه أنه جعل هذا المطلق « علة » و « موضوعاً » ، ووقع بذلك في الخلف والشناعة . إذ لا علة وراء إمكان التجربة ، ولا موضوع بغير ذات . والقول بموضوع في نفسه ، بموضوع لا تعرفه الذات ، تناقض في الحدود . كل موضوع فهو بالضرورة موضوع بالنسبة إلى ذات ، أو إدراك مدرك . ليس الشيء في ذاته بظاهرة أو فكرة ، ولا هو بشيء « موجود » بالفعل ، وإنما هو المطلق المستقر وراء الظواهر والموجودات الواقعية ؛ هو ذاك الذي « يظهر » ، ذاك الذي يريد أن يوجد ، لأنه غير موجود . إنه الإرادة — إرادة الوجود . وقد قرر « كانت » أن الشيء في ذاته ممتنع على المعرفة ، وشوبنهاور يسلم له هذا أيضاً ، إن كان المقصود بالمعرفة المعرفة الخاضعة لمبدأ السبب الكافي ؛ ولكن هناك ضرباً من المعرفة المباشرة ، نستطيع أن نكتشف به المطلق ، ونكتشف أنه إرادة سرمدية : نزوع مطلق إلى الوجود والحياة والتحقق الموضوعي .

وليس عالم الظواهر بمعلول للشيء في ذاته أو الإرادة ، لأن العلية لا تصح إلا على الظواهر وحدها ؛ وليس هناك ، إن طلبنا الدقة في التعبير ، عالمان مترابطان برابطة العلة والمعلول ، وإنما هو عالم واحد ذو وجهين ، وجه الفكرة أو التمثل [1] ، ووجه الإرادة أو النزوع — والأول مرئي مشهود ، والثاني مغيب غير منظور . إنه من جهة فكرة كله ، ومن جهة إرادة كله ؛ وبعبارة أخرى ، إذا نظرنا إلى العالم من الخارج فهو فكرة ، وإذا نظرنا إليه من الداخل فهو إرادة . وبعبارة أوضح ، ليس عالم الظواهر إلا تجسم الإرادة ، أو تحققها الموضوعي ؛ إنه الإرادة كما نراها ، كما تبدو لنا [2] .

وصور العالم المرئي هي الزمان والمكان والعلية ، وهي كل ما استبقاه شوبنهاور من جهاز « كانت » القبلي ؛ على أنه جمل ما أسماه بمبدأ السبب الكافي التعبير العام عن هذه الصور ، كما أنه أدرج هذا المبدأ ، في كل أشكاله ، تحت صورة عليا ، هي ازدواج الذات والموضوع ، وسنأتي بعد على بيان هذا كله .

وبفضل المكان والزمان والعلية يتم لنا ، ولسائر الحيوانات ، إدراك العالم الخارجي . والذي يقوم بهذا الإدراك أو العيان ، ويربط المدركات الحسية برباط العلية ، هو « الذهن » وحده ، لا الحساسية ثم الذهن ، كما ذهب إلى ذلك « كانت » ؛ ولا « العقل » . ولذا « فكل عيان ذهني » . وقد ميز شوبنهاور بين « الذهن » و « العقل » كما ميز « كانت » ، ولكن على حين أن الأخير جعل العقل (بمعناه الضيق) قوة الصور أو المثل الكلية المنظمة لأحكامنا ، قصر الأول على قوة التصورات المجردة ، التي يتميز بها الإنسان على العجماوات ، وليس من شأن هذه الملكة أن تكتشف أو تبتكر شيئاً ، فذلك من شأن الذهن وحده ، وإنما شأنها تجويد المدركات ، وتعميمها ، وربط بعضها ببعض ، وحفظها ، وتيسير استعمالها في المقاصد العملية .

(يتبع)

عبد الكريم الناصري

---

(١) فكرة أو تمثل = بالألمانية Vorstelling ، وبالانجليزية والفرنسية representation أو Preseentation . على أن معظم الباحثين في فلسفة شوبنهاور ، وكذلك مترجمو كتبه إلى الانجليزية ، يترجمون هذا المصطلح بـ « idéca » أي « فكرة » ، بحسب مفهوم هذا اللفظ عند « لوك » و « بركلي » . . .

(٢) عالم الظواهر هو التحقق الموضوعي « غير المباشر » للارادة ، لأن هذه تتحقق أولا في « المثال » الافلاطوني ، الذي هو خارج المكان والزمان والعلية ، وإن كان مع ذلك راجعاً إلى عالم الفكرة . والمعرفة العيانية المباشرة للمثال من شأن « الفن » — وهي المعرفة العليا والمعرفة = « الموضوعية » الحقيقية . بيد أننا نتحدث في هذا المقال عن المعرفة بمعناها الضيق عند شوبنهاور ، أي المعرفة الخاضعة لمبدأ السبب الكافي ، وهي تشمل التجربة والعلم . ومقالنا هذا « مراجعة » وتلخيص نقدي للقسم الأول من كتابه الرئيسي (العالم كإرادة وفكرة) ؛ وعنوان هذا القسم : « العالم كفكرة — الوجه الأول — الفكرة خاضعة لمبدأ السبب الكافي موضوع التجربة والعلم » .

يا إخواننا في وادي النيل!

[مهداة إلى الأستاذ الشيخ علي الطنطاوي]

للاستاذ غائب طعمة فرمان

قرأت — فيما قرأت — في الرسالة الحبيبة إلى القلوب، العزيزة على النفوس، مقالة بليغة للأستاذ الكريم علي الطنطاوي عنوانها (يوم من أيام بغداد) أجرى فيها من روحه الأبية، ومن دمه الكريم، قوة متفجرة تهز قلب كل عربي غيور، وتوقظ همة كل أبي أشم؛ فقد — والله — لمست منها قوة العاطفة، وسمو النفس، وكرم المحتد.

« ليست كالمقالات، جملا ترصف، وكلمات تؤلف، ولكنها قلب يتفطر، وديناميت يتفجر ... » .

وغاية الأستاذ الكريم من هذه الكلمة الجميلة إيقاد الهمم، وإيقاظ النفوس، وشحذ العزائم؛ ليعلمنا « ... أن مصر ... أختنا الكبرى في العروبة، وقضية مصر قضيتنا، ووادي مصر وادينا، وعدو مصر عدونا، وإننا إن نخذل مصر نخذل بلادنا، وإلا نكن معها نخن أمتنا . » . ويتساءل في النهاية مخاطباً بغداد « أفتنامين يا بغداد في سرر الأمان ومصر في الشوارع تصارع الذئاب ؟ » .

وليطمئن الأستاذ إلى إخلاص الشباب العراقي جميعاً .

وليثق بنا في ساعات الجد وفي سوح القتال .

وليعلم أن أجفاننا لا تهدأ، وأن قلوبنا لا تستقر، وأننا لا نخلد إلى السكينة، ولا ننام في سرر الأمان ما دامت مصر تتألم، والمغرب العربي يئن تحت نير الاستعمار، وفلسطين المجاهدة تتناهبها الأطماع، وتنهشها الذئاب البشرية، ويعبث بها أرباب المصالح الأجنبية، وتراوغ في حقوقها ثعالب الصهيونية .

أجل لن نهدأ ولن نقر عيناً والبلاد العربية مجروحة تنزى ألماً، لأن الشعلة المتوقدة في قلوبنا، والشجاعة الممتزجة بدمائنا، والاخلاص الثابت في نفوسنا، والصرخة المدوية في أعماق ضمائرنا — صرخة الحق، والعدالة، والحرية — كلها لا تزال في توقدها، وقوتها الأولى .

كلها أسس حياتنا، ومقدسات فكرنا، ومثلنا العليا التي نؤمن بها إيماننا بديننا .

إننا — معشر الشباب العراقيين — لا نزال ثابتين على عقائدنا، حافظين لعهودنا، سائرين في طريقنا القويمة وفق دستورنا العربي المقدس .

نحن لا نزال — كما عهدتنا — مؤمنين بحقنا الأسمى في الحياة، ذائبين بأرواحنا وبما تملك أيماننا، رافعين راية الجهاد ضد كل معتد أثيم .

الحق، والعدالة، والحرية، ومكارم الأخلاق، والمزية، والإخلاص مواد دستورنا الأولى .

مصر، والعراق، وسوريا، ولبنان، وفلسطين، والجزيرة العربية، وشمال أفريقيا، بلاد أمتنا الكريمة .

ولسنا من العرب في شيء إن تخاذلنا في نصر كل بقعة من بقاعها .

أقسم لك أيها الأستاذ الكريم أننا لا نزال كما عهدتنا نناصر كل بلد عربي؛ إننا نتألم لسوريا ولبنان في محنتهما كما نتألم لمصر والسودان في قضيتهما، وإننا نفزع إلى الجهاد في سبيل فلسطين، كما نفزع إلى الذب عن المغرب الأقصى، المغرب العربي الكريم .

وشاعت في هذه الأيام أن العراق يتوانى عن مساعدة مصر في قضيتها . وتلك لعمري سبة للعراقيين .

فالعراق لا يتوانى ولن يتوانى عن نصرة البلاد العزيزة لأنه يشعر شعوراً عميقاً بما يصنعه الاستعمار البريطاني . إن جروحه لم تندمل وإن صدى البارود لم يذهب عن أذنه، وإن طيف الثورة العراقية الكريمة منتصب أمام عينيه .

وما تلك التهم إلا دسيسة أجنبية تجد طريقها إلى عقول بعض السذج . إنها ألاعيب استعمارية تبث لتفريق الكلمة، وتشتيت الشمل، وشغل العقول .

إذا أردت أن تتأكد من صواب قولي ؛ فلا تعتمد على ما تذيعه الصحف، وما تروجه الألسنة المغرضة، بل تعال معي إلى المحلات العامة، تعال معي إلى الشعب العراقي اسأله : تعال إلى التلميذ في مدرسته، والعامل في معمله، والموظف في دائرته، والفلاح في حقله .

حول « أغنية السودان »

للأستاذ على متولى صلاح

تحمد لمحطة الإذاعة اختيارها — الفينة بعد الفينة — إحدى روائع شوقى الخالدات لتغنى على الناس فى مناسبة عابرة أو ظرف قائم أو لمقتضى حال يجب أن يقال فيه ما يطابقه .

وقد أحسنت الصنيع يوم اختارت قصيدته « نكبة دمشق » التى مطلعها « سلام من صبا بردى أرق » ، وأحسنت الصنيع يوم اختارت قصيدته « ذكرى المولد » التى مطلعها « سلوا قلبى غداة سلا وتابا » ولو أنها أضافت إليها — توهما منها أن ذلك يجعلها أدنى إلى المناسبة القائمة وأكثر مطابقة لمقتضى الحال — ما كان منها كالرقعة الرخيصة فى الوشى الثمين ، ولو لم تفعل لتمت المطابقة دون حاجة إلى هذا التكلف !

وأحسنت المحطة الصنيع أيضاً حين اختارت — فى الأسبوع المنصرم — قصيدته « شهيد الحق » التى مطلعها « إلام الخلف بينكما إلاما » التى قيلت بمناسبة الذكرى السابعة عشرة لوفاة المرحوم الزعيم مصطفى كامل ، وأطلقت عليها اسم « أغنية السودان » ! …

ونحن نشكر للمحطة جاهدين أن تختار الشعر العالى ، ونود لو أنها تتحلل يوماً بعد يوم من هذا الهذر والسخف الذى تنطق به حناجر بعض المغنين فيها ، وأن تترك هذه الأغنيات الرخيصة المائعة التى تتسرب إلى نفوس الناس سماً وفساداً وانحلالا … غير أننا ونحن بصدد الحديث عن اختيارها لقصيدة « شهيد الحق » نريد أن نبصرها بأمور كانت عسية أن تتجنبها ، وليكون ذلك دستوراً لها إن أرادت حقاً أن يغنى بها شعر رفيع عال كهذا الذى تختاره من شعر شوقى ، وإن ذلك لجدير — فى المستقبل — أن يعفيها من كل لوم ، وأن يجنبها كل زلل ، ويوقيها كل عثار .

١ — فنحن لانفهم أولا كيف تعدو المحطة على التاريخ الأدبى والتاريخ السياسى فتنحرف بالقصيدة عن الغرض الذى قيلت فيه وتخرجها عما إليه قصد منشئها ، ثم تعدو بذلك على ذكرى غالية لزعيم وطنى من طراز قل أن يوجد بين الزعماء ؟؟ ثم تسميها عنوة واقتداراً « أغنية السودان » ومابها صلة بالسودان إلا أنه ذكر فيها مرة !! ولقد كان للمحطة معدى عن ذلك لو أنها تمهلت قليلاً فى الاختيار ، أو وكلته إلى أهل الذكر فى الأدب الذين يعرفون قول الذى قال : —

قد عرفناك باختيارك إذ كا … ن دليلا على اللبيب اختياره !

كان لها معدى عن ذلك باختيار شعر آخر أو قصيدة أخرى لشوقى ، وله فى الوطنية شعر كثير ، أو لحافظ وله قصائد متفرقة تفيض وطنية وحثاً على الاتحاد والائتلاف وتنديداً بالفرقة والاختلاف ، ولكن محطة الإذاعة راقها مطلع القصيدة « إلام الخلف بينكمو إلاما » وملك عليها أمرها فلم تجد عنه منصرفا !

تعال إلى هؤلاء وانظر إلى ما يقولونه .

تعال لتسمع القصة من أفواههم ، ولتلمس أفكارهم : وتسبر غور أنفسهم ، ولتعلم بم يفكرون ؟ .

إننى لأقسم لك إنهم يفكرون فى قضايا بلادهم ، بلادهم بالمعنى الشامل الواسع ، البلاد العربية : مصر ، الشام ، فلسطين ، شمال أفريقيا .

وفى هذه الأيام يحل الوفد السودانى ضيفاً على العراق . فهل تعلم ما كان فى نفس كل عراقى ؟ .

لقد كانت فى نفوسنا أحاديث قلبية نريد أن نبلغها .

لقد كانت قلوبنا تخفق ، وشفاهنا ترتجف ، وعيوننا تبتسم ، ونفوسنا فى هزة من الشوق .

لقد كانت فى قلب كل عراقى كلمات يود أن يبلغها إلى الوفد السودانى الكريم قائلا : يا إخواننا فى وادى النيل إننا نؤيدكم من صميم قلوبنا ، ونناصركم بأرواحنا ، ونهتم بقضيتكم اهتمامنا بقضيتنا بل أكثر منها … إن الجراح التى تحسونها فى بلادكم نشعر بها ونتألم لها … إننا صوت واحد ، صوت قلبى يصرخ فى وجه المعتدى الأثيم: تباً لك من وغد ، هذه الأرض أرضنا نريق من أجلها دماءنا … فلا تصدقوا ما يقوله عنا المستعمرون .

وفى النهاية نصرخ صرخة الشاعر العراقى :

أبشرى ياطلعة الوادى الأمين … جاءك الأبطال بالنصر المبين

قد سمعنا عنك ما روعنا … فأتيناك أسوداً لا تلين

بغداد … غائب طعمة فرمان

على أننا لا نفهم كيف أسموها قصيدة « السودان » وأغاب أبياتها التى غناها عبد الوهاب موجهة إلى « شهيد الحق » مصطفى كامل وكيف يوفق سامعوها بين عنوانها هذا وبين تلك الأبيات ؟؟

٢ — على أن المحطة وهى تريد الدعوة إلى الائتلاف والاتحاد أغفلت الأبيات التى تؤدى إلى ذلك وتدعو له فى القصيدة لأسباب يعلمها الله وحده ! وإلا فهل أدل على هذا الذى تهدف المحطة إليه من قول شوقى : —

لقد صارت لكم حكما وغنما ... وكان شعارها الموت الزؤاما
وثقتم واتهمتم فى الليالى ... فلا ثقة أدمن ولا اتهاما

ومن قوله : —

وكانت مصر أول من أصبتم ... فلم تحص الجراح ولا الكلاما
إذا كان الرماة رماة سوء ... أحلوا غير مرماها السهاما
أبعد العروة الوثقى وصف ... كأنياب الغضنفر لن يراما
تباغيتم كأنكمو خلايا ... من السرطان لاتجد الضماما ؟

ومن قوله وقد يكون فيه دعوة واضحة صريحة إلى أن يكون الحكم فى أيدى الأحزاب جميعاً متحدين مؤتلفين : —

واينا الأمر حزباً بعد حزب ... فلم نك مصلحين ولا كراما
جعلنا الحكم تولية وعزلا ... ولم نعد الجزاء والانتقاما
وسسنا الأمر حين خلا إلينا ... بأهواء النفوس فما استقاما !

ولكن لأمر ما أغفلت المحطة كل ذلك ...

٣ — كان التلحين الذى غناها به محمد عبد الوهاب بعيداً غاية البعد عن المعنى المنشود ، لقد كان هذا اللحن أبعد شىء عن معانى الوطنية والاستنهاض والدعوة السريعة العاجلة إلى الاتحاد والتهكم اللاذع — بالموسيقى اللاذعة — بهذا الاختلاف وتلك الفرقة ، والمناداة العالية برأب الصدع ، واللهفة الحارة إلى جمع الشمل ... ما أحسست والله وأنا أسمعها إلا بأنين وحشرجة وخفوت ونوم واحتضار !!

فرفقاً بالأدب العالى والموسيقى العالية يا محطة الإذاعة .

علي متولي صلاح

الأدب في سير أعلامه :

٨ - تولستوي

[مثل من القمم الشوامخ في أدب هذه الدنيا قديمه وحديثه]

للأستاذ محمود الخفيف

بين العبث والندم

لن يصبر الفتى على المقام طويلا بيسنايا ، فإن المدينتين : موسكو وبطرسبرج ما تزالان تدعوانه إلى مفاتنهما وزينتهما ، وما إن يأخذ الفتى حظه من اللهو في إحداهما أو في كلتيهما حتى ينطلق إلى ياسنايا يطلب الهدوء ويأمل في التوبة ، ويرجو أن يتفرغ لشؤون ضياعه ، وعلى هذه الحال قضى الفتى ثلاث سنوات يلتى به طول عبثه إلى الندم ، ويؤدي به سأمه من ندمه إلى ما كان فيه من عبث ؛ وكان في خاليه يمثل حياتي أخويه . فإذا أمعن في عبثه ومجونه وعدم اكترائه لشيء مثل حياة سيرجي ، وإذا ندم وتقشف وزهد في الحياة الدنيا وزينتها عاش عيشة ديمتري

ولم يقف عبثه عند حد في العاصمتين ؛ فهو في ليله يسرف في الميسر ويغشى أمكنة اللهو وينتقل بين «صالونات» الارستوقراط وأماكن الغجريات المغنيات ، يقضي أرب مشاعره من الجمال والبهجة ، وغاية بدنه من الفسوق والرجس ، وهو في نهاره يستمتع بالصيد أو بركوب الصافنات الجياد ، أو يملأ فراغه بلعب الورق أو الشطرنج أو بكتابة ما يداخله من ندم في دفتر يومياته ، أو باللعب ساعة على البيان ، وهو في ليله وفي نهاره يشرب الخمر ويصيب ما يلذه من طعام في أشهر مطاعم المدينة وأغلاها ثمناً . يفعل ذلك في رفقة من صحابته يعبثون ويلهون كما يعبث ويلهو ، ويفوزون منه بما ينفق عليهم من ماله ...

ويحاول أحياناً أن يصنع ما نصحت به عمته تاتيانا إليه ، وذلك أن يرتبط بفتاة ذات خلق وكرم محتد ، فيدور بعينيه في سهرات الأرستقراط يطالع وجه الأوانس ، ويخفق قلبه لهذه أو لتلك ، ولكنه لا يلبث حتى ينطلق تحت ستار الظلمة إلى حيث يلقي بنفسه بين ذراعي إحدى الغجريات !

ويحلم تارة أحلام الزواج فيهفو قلبه إلى الآنسات في صحبة أمهاتهن وقد تبرجن وأبدين زينتهن ، ويتظرف في حديثه ويظهر أكثر ما يستطيع من مظاهر الارستقراطية والنبل ، ولكنه سرعان ما ينصرف عن هذا إلى ما يوسوس به الشيطان من فجور وإثم يطفئ به ضرام بدنه القوي الذي ما يزال يلتهب من شهوة

ويعود إليه تارة تخيله أنه محب وأنه أسير هوى غادة عرفها في موسكو هي الأميرة شرباتوف ، وإن كانت هذه الغادة لتجهل كل الجهل ما تحدثه به نفسه من حب ، ولا تفطن إلى ما يخيل إليه أنها بعثته في نفسه من عاطفة ...

وكذلك تساوره أحياناً رغبته في الكمال ، تلك الرغبة التي تسلطت عليه زمناً في قازان ، ولكن الكمال هنا يتخذ منحى جديداً غير منحى الثقافة والمعرفة ؛ فهو يريد اليوم أن يكون رجل مجتمعات ، يشار إليه في المنتديات والصالونات ، ويريد أن يكون حديث مجالس ينصت إليه ذوو المكانة ويصفونه بأحسن أوصافهم من النبل والتهذيب والظرف واللباقة ؛ ولكنه لا يستقر على هذا الاتجاه ، وما هي إلا أن توسوس له أقل المغريات حتى يعود إلى مجونه وجنونه ، ليعب منهما ما يشاء له شبابه ثم يعمد إلى دفتره فيثبت فيه ما يخالجه من ندم ومن تأنيب منه لنفسه ؛ وهكذا يحيا الفتى في المدينتين حياة لا تختلف عن حياته في قازان إلا بما يكون من إفراط في اللهو وإسراف في المال .

ولن يزال الفتى كالفراش الهائم يطير من زهرة إلى زهرة ، ومن ثمرة إلى ثمرة ، أو يقع على اللهب لا يرتد عنه ثم يجذبه الضوء فينجذب إليه ، ولا يجد مايبثه خلجات شعوره ونوازع وجدانه إلا دفتر يومياته ؛ كتب في هذا الدفتر سنة ١٨٥٠ يقول وقد كان في موسكو « إن هذه ثالث سنة لي أقضي شتاءها في موسكو دون أن أكون في منصب ما ؛ هنا حيث أقضي حياة سخيفة لا غناء فيها ، حياة فارغة لا تهدف إلى غرض ؛ ولم أحي هذه الحياة لأن كل امرئ في موسكو يفعل مثلما أفعل ، ولكن لأن مثل هذه الحياة هيأت لي أسباب المسرة » .

وبلغت حاله من السوء في أواخر تلك السنة بما أسرف على نفسه في الميسر أن أصبح يطلب القليل من المال فلا يكاد يجده

ولذلك فكر فى أن يشغل منصباً يرتزق من وظيفته ، واتجه إلى إلى منصب مدير البريد فى مدينة تولا ؛ ولكنه لم يجد من ذوى النفوذ من أقربائه من أعانه على تحقيق هذا الطلب ، كما لم يجد فى نفسه القدرة على أن يعمل عمل الوظفين فانصرف عن هذا التجه ...

ولكن ماذا عسى أن يصنع وقد اشتدت به الحاجة إلى المال وفدحته أعباء الدين ؟... يا عجباً ! إنه يريد أن يحذق لعب الورق ليكسب المال من الميسر ، عسى أن يعوض شيئاً مما خسره فيما سلف من لعبه ، ولكنه ما لبث أن رأى أن الميسر ما كان وسيلة لكسب المال وإنما هو كما عرف من قبل وسيلة لاتلافه ؛ ثم إن الفتى يضيق بحياته هذه حتى مايطيق صبراً فيفد إلى ياسنايابوليانا

ويقضى الفتى فى ضيعته بضعة أشهر لا يكدر عليه صفوه ولا يقطع هدوءه إلا إلحاح عاطفته الحيوانية عليه وظمأ بدنه ذلك الظمأ الذى لايفتر ؛ ولكنه يغالب تلك العاطفة بكل ما فى طوقه من عزم ، ويصبر على ذلك الظمأ ما وسعه الصبر ؛ ثم لا يلبث حتى يجد نفسه وقد غلب على أمره فماد أكثر مما كان نهماً وطمعاً . والحق أنه كان يعانى كثيراً من الضيق من جراء فشله كلما فشل فى مغالبة هذه العاطفة ؛ أشار إلى ذلك مرة لأحد مترجمى حياته بعد أن تقدم به العمر فذكر أنه ما من شىء كان أشق على نفسه من محاولته قهر هذه العادة التى تسلطت عليه فلم يقو على دفعها ؛ ولقد كان يتأثم منها ويندم أشد الندم كلما منى بفشل جديد ، تجد ذلك فى مثل قوله سنة ١٨٥٠ « إنى أعيش عيشة بهيمية ، ولقد هجرت كل ما عسى أن يشغلنى من عمل ؛ وإن ذلك ليكدر روحى كدراً شديداً » .

ولا يكاد الفتى يجمع من المال قدراً حتى يعود إلى موسكو فى شهر مارس سنة ١٨٥١ ؛ وفى نفسه هذه المرة أن يبتعد عن كل مايشين لأنه اليوم يريد أن يصل إلى مكانة مرموقة فى المجتمع وأن يشغل منصباً ذا خطر وأن يتزوج من ذات ثراء ومحتد ...

وراح يغشى أواسط الارستقراط يشهد الحفلات والولائم ، يهمه أن يتعرف إلى العلية وذوى المكانة والنفوذ ؛ إذا جلس فى حلقة أخذ بقسط موفور من الجدل والحديث ، وحاول ما استطاع أن يكون هو الذى يدير الكلام ويصرف وجوهه ، وحرص على أن تكون آراؤه مثيرة للدهشة أو للانتباه أو للمعارضة ، واجتهد أن يبرز أقصى ما لديه من علم فيما يتشقق إليه الحديث من مسائل فيفيض ويشرح وجهة نظره ويسرد الأمثلة ويبسط الحجج فى لهجة التمكن القادر .

وعادت تطوف برأسه أحلام الزواج ؛ وعاد يتذكر ما غنته له عمته تاتيانا ؛ فقد كان أجل ما تمنته له فى رأيها أن يتزوج بفتاة عظيمة الثروة وأن يمتلك من رقيق الزراع أكثر ما يستطاع أن يمتلك ؛ ولكنه يرى أن مثل هذا الرباط لن يكون إلا بالحب ، وهذا ما لا يحس أنه انتهى فيه إلى رأى ...

وكان لا يزال يطمع أن يعينه بعض ذوى النفوذ والجاه من أقربائه أو أصدقائه على أن يظفر بمنصب من مناصب الدولة ينعم فيه بالمال والجاه ، ولكنه لم يصل من ذلك إلى كل ما يريد ..

وكان قد صمم عند مجيئه إلى موسكو ألا يقرب الميسر وقد أوصته عمته أن يتحرر من هذه العادة المتلفة المال الموبقة للروح ؛ ونفذ الفتى أول الأمر ما عقد عزمه عليه وابتعد عن الميسر كل الابتعاد كأنه أمر ينفر منه بطبعه ؛ ولكن ما كان أعجب عودته إليه بعد قليل يأمل من جديد أن يجد فيه مخرجاً مما هو فيه من عسر ؛ ولعب ما وسعه اللعب وخسر خسارة كبيرة ، ولكن الخسارة لم تزده إلا إسرافاً فى اللعب وعدم اكتراث لما يكون للعب من عاقبة حلوة كانت أو مرة قاسية المرارة ؛ ولقد بلغ به الأمر أن رهن ساعته يوماً ليدفع ثمن معطف ذى فراء أراد أن يدخل على روحه بعض البهجة بلبسه والتنبل به وإن صفرت من المال يده ...

وضاق صدره بحياته على هذه الصورة وعزا هذا الاضطراب إلى ضعف عزيمته . كتب فى دفتره يقول « إنى ألاحظ أن أهم عاطفتين تتسلطان علىّ هما الميل إلى اللعب ثم الغرور » ؛ وراح يتهم نفسه كل يوم فى دفتره ويندم ماوسعه الندم ؛ وجعل لكل يوم من أيام الأسبوع فى دفتر آخر فضائل يؤديها وأخذ يشير بعلامة إلى ما قصر فى أدائه حتى لا يعود إلى التقصير فى مثل ذلك اليوم من الأسبوع التالى ؛ ثم لاذ الفتى بالدين فزهد الحياة أياماً فصام وصلى وألف دعاء يدعو به الله ليخرجه مما هو فيه ...

ولحت للفتى بارقة أمل ؛ لم لا يحمل الأدب حرفة له ؟ ألم تكن

عمته تاتيانا على حق حين قالت له ذات يوم « إنى أعجب يا عزيزى ليو كيف لا تكتب رواية ولك مثل ما لك من خيال ؟ » .

وكان الفتى يقرأ القصص أكثر ما يقرأ ، ولم ينقطع عن القراءة مهما شغلته الشواغل أو ملأ حياته اللهو ، ولا يزال إعجابه بروسو عظيما ، وكذلك لا يزال يحمل لدكنز منزلة عظيمة فى نفسه ؛ أما الكتاب الروس فقد كان يقبل منهم على بوشكين وجوجول إقبالا شديداً ، وكان لثانيهما تأثير قوى فى خياله وعقله ؛ وبدأ يلتمع اسم ترجنيف وكان أكبر من تولستوى بعشر سنوات ، وقد نشر أول كتبه سنة ١٨٤٧ وهو مذكرات رجل صيد ، وكان لهذا الكتاب كذلك تأثير عميق فى خيال ليو ووجدانه ، وبخاصة ما أظهره مؤلفه فى فنه القوى المحكم من حياة رقيق الأرض ... وقرأ الفتى لغير هؤلاء الكتاب كتب شلر وكتب ستيرن وغيرهما من فحول القصة والشعر .

وتصادف أن كانت قصة دكنز العظيمة دافيد كوبرفيلد تنشر يومئذ تباعا فى إحدى المجلات فأحدثت فى نفسه أثراً لم تحدث مثله قصة غيرها وظلت لها فى نفسه المكانة الأولى حتى آخر حياته

وماذا عسى أن يكتب الفتى ؟ ذلك ما حيره أول الأمر حيرة شديدة ؛ أيصف حياة الغجر كما فعل بوشكين وإنه اليوم بهم عليم ؟ أيكتب قصة عمته تاتيانا ؟ لا إنه لا يميل إلى هذه ولا إلى تلك فماذا يكتب ؟ ليصف زيارته بالأمس لتلك الأميرة شيرباتوف التى ظن أنه يحبها ؛ وأقبل الفتى فوصف هذه الزيارة ، ولقد نشرت هذه القصة الصغيرة حديثاً بعد أن عثر عليها ورأى الناس أول عمل أدبى لنابغة كتاب القصة فى القرن التاسع عشر فإذا بهذه الباكورة تنطق بكثير من دلائل عبقريته ...

ويقول ليو فى دفتره « إن الوصف ليس كل شىء .. كيف ينقل المرء إلى القارئ شعوره ؟ » . قال ذلك لأنه كان قد اعتزم أن يجعل الوصف غايته من الكتابة فيصف كل ما تقع عليه عيناه

ثم بدا له وكان أثر دافيد كوبرفيلد قويا فى نفسه أن يكتب أيام طفولته ، وانكب على الكتابة كل صباح من الساعة الخامسة حتى الحادية عشرة حتى أتم باكورة آثاره التى كتب لها الخلود .

ولكن حياة اللهو وا أسفاه تعود فتصرفه عن هذا الجد . فيقبل على لذاذاته ويسرف من جديد فى مجونه وعبثه ، ثم لا يجد آخر الأمر خيراً من أن يلوذ بضيعته من هذه الحياة التى سئمها

وسئم نفسه بسببها فيعود إلى ياسنايا فى صيف عام ١٨٥١ ولم يتزوج من ذات ثراء ، ولم يظفر بمكانة فى المجتمع ولا بمنصب خطير من مناصب الدولة ، ولم يتحرر من الميسر ولا مما يوهن عزمه من نوازع بدنه القوى الذى لا تهدأ حيوانيته ...

وأقام فى القرية أياماً يخالجه شعور الندم على ما كان من عبثه الذى أسرف فيه على نفسه وشعور الحسرة على ما آلت إليه حاله من عسر ومن دين ، وينظر اليوم إلى هؤلاء الرقيق الزراع الذين أراد إصلاحهم بالأمس فيؤلمه أنه انقلب اليوم مبدداً لما تنتجه أيديهم من خير ؛ فلا هو أصلحهم ولا أفاد من كدهم إلا ذلك المال الذى يذهب هباء فى الميسر والترف والغرور والفسوق .

وينقاد إلى جموح بدنه فى القرية كما كان يفعل فى المدينة ، لا يهدأ هذا البدن ولا ينطفئ لهبه ؛ ولكنه يشعر باشمئزاز شديد ذات ليلة إثر فعلة من فعلات الشباب فعلها تحت جنح الظلام ، وكأنما استيقظت فى نفسه مشاعر جديدة فى تلك اللحظة جملته ينكر هذا الذى فعل إنكاراً شديداً كان أكثر قيمة من ذلك الندم الذى كان يخالجه كل مرة ثم لا يلبث أن يموت .

كره الفتى حياته كرهاً شديداً ، وضاق بالمقام فى ياسنايا وفى موسكو وفى بطرسبرج ، وما له غير الرحيل شفاء لنفسه ومنجاة لروحه ، فليرتحل إلى حيث لا يجد شيئاً يذكره بالذى كرهه أشد الكره وأنكره كل الإنكار من مواطن مجونه وعبثه وفراغ حياته .

(يتبع) الخفيف

محاضرات في التفسير

للأستاذ علي العماري

تحتفل قاعة المحاضرات بدار الحكمة في يوم الأربعاء من كل أسبوع بنخبة ممتازة من رجال العلم والأدب في القاهرة يستمعون إلى أحاديث في تفسير القرآن الكريم يلقيها طائفة من العلماء الأعلام ، سمعنا منهم إلى الآن فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمود شلتوت عضو هيئة كبار العلماء، وفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الوهاب خلاف والدكتور عبد الوهاب عزام بك والأستاذ عبد الوهاب حمودة ، ومع أنهم أسمعونا الطيب المعجب ، وطالعونا بأساليب جديدة في تأويل الآيات وفهمها وتفهيمها ، ومع أننا نحب أن نسمعهم كثيراً إلا أننا مع ذلك نحب أن نسمع غيرهم من كبار المشتغلين بدراسة القرآن الكريم ، فاننا اليوم في حاجة إلى الإطلاع على أكثر من أسلوب في هذا التفسير خصوصا وقد زاد تنبه الأذهان إلى ضرورة وضع تفسير جديد سهل المأخذ قريب التناول خاليا من تلك الأساطير التي ملأ بها المفسرون كتبهم ، وليس القول في قلة جدوى هذه التفاسير، وعدم غنائها من مواليد هذا العصر ولكنه قديم ، فقد أنحى بعض العلماء الفضلاء عليها باللائمة ، ومن هؤلاء إمام البلاغة الشيخ عبد القاهر الجرجاني فقد قال في كتابه دلائل الإعجاز « ومن عادة قوم ممن يتعاطى التفسير بغير علم أن توهموا أبداً في الألفاظ الموضوعة على المجاز والتمثيل أنها على ظواهرها فيفسدوا المعنى بذلك ويبطلوا الغرض ويمنعوا أنفسهم والسامع منهم العلم بموضع البلاغة وبمكان الشرف ، وناهيك بهم إذا هم أخذوا في ذكر الوجوه وجعلوا يكثرون في غير طائل . هناك ترى ماشئت من باب جهل قد فتحوه، وزند ضلالة قد قدحوا به. ونسأل الله تعالى العصمة والتوفيق »

ونحن اليوم أكثر معرفة بهذه الأبواب المفتوحة من الجهل في بعض التفاسير ، وأشد حاجة إلى أسس جديدة صحيحة غير هذه الأسس القديمة ، وهذه المحاضرات تبشر ببداية حسنة ، ففيها من دقة الفهم ، وجمال العرض والبعد عن الفضول ما يجعلنا نؤمل أن تكون خطوة أولى في سبيل وضع هذا التفسير المرتقب ، وياحبذا لو قام المشرفون على تنظيم هذه المحاضرات بطبعها حتى تذيع وتنتشر ويعم بها النفع .

وقد استمعت في آخر مرة إلى فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الوهاب خلاف يفسر الآيات الأولى من سورة آل عمران ، وقد أعجبت به إعجابا ملأ نفسي ، غير أني كنت أود أن أناقشه في بعض ما عرض له ، وقد لقيته بعد المحاضرة فاعتذر بأنه متعب فرأيت عرضها على صفحات الرسالة الغراء ، ذكر الأستاذ - كغيره - أن القرآن اشتمل على كثير من السنن الكونية ، ولست أريد أن أخالف عليه في هذا ، وأن أعيد ما قاله جماعة من كبار العلماء ، وفندوا به هذه النظرة إلى القرآن فلكلٍّ وجهة ، لكن الذي أريد أن أخالفه فيه أنه تحدث عن دوران الأرض وقال إن القرآن صريح في الدلالة على هذه الحركة وذكر قوله تعالى « وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون » وربما تعجب معي كيف ذهب على المحاضر — وهو رجل فاضل — موضع هذه الآية من القرآن ، ولكن هذا يدلنا أكبر الدلالة على استيلاء النقص على جملة البشر ، والعرب يقولون في أمثالهم « قد يكبو الجواد »

هذه الآية في سورة النمل تصور حالة من أحوال يوم القيامة « يوم يكون الناس كالفراش المبثوث ، وتكون الجبال كالعهن المنفوش » وكما قال تعالى في سورة الكهف « ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا » جاءت هذه الآية في هذا السياق « ونفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ، وكل أتوه داخرين ، وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون » فليس يخاف أن الآية تذكر حالة من أحوال ذلك اليوم وليس فيها أية إشارة إلى حال الجبال في الدنيا وقد بدا لبعض من ناقشته في هذا الأمر أن قول الله تعالى « صنع الله الذي أتقن كل شيء » فيه دليل على أن هذه الرؤية مما يكون في الدنيا وإليه ماقاله الإمام الزمخشري في تفسيره الكشاف « صنع الله . يريد به الإثابة والمعاقبة ، وجعل هذا الصنع من جملة الأشياء التي أتقنها وأتى بها على الحكمة والصواب حيث قال « الذي أتقن كل شيء » يعني أن مقابلته الحسنة بالثواب ، والسيئة بالعقاب من جملة إحكامه للأشياء ، وإتقانه لها ، وإجرائه لها على قضايا الحكمة إنه عالم بما يفعل العباد وبما يستوجبون عليه فيكافئهم على حسب ذلك »

علي العماري

(١) سورة القارعة

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٩٠٢ — مناظرة بين عالمين

سأل الإمام أبو الحسن الأشعرى شيخ السنة الإمام أبا على الجُبّائى رئيس المعتزلة عن ثلاثة إخوة ، أحدهم كان مؤمناً براً تقياً ، والثانى كان كافراً فاسقاً شقياً ، والثالث كان صغيراً ، فماتوا فكيف حالهم ؟

فقال الجبائى : أما الزاهد ففى الدرجات ، وأما الكافر ففى الدركات ، وأما الصغير فمن أهل السلامة .

فقال الأشعرى : إن أراد الصغير أن يذهب إلى درجات الزاهد هل يؤذن له ؟

فقال الجبائى : لا ، لأنه يقال له : إن أخاك إنما قد وصل إلى هذه الدرجات بسبب طاعاته الكثيرة وليس لك تلك الطاعات .

قال الأشعرى : فإن قال ذلك الصغير : التقصير ليس منى فإنك ما أبقيتنى ولا أقدرتنى على الطاعة .

فقال الجبائى : يقول البارى (جل وعلا) كنت أعلم أنك لو بقيت لعصيت ، وصرت مستحقاً للعذاب الأليم فراعيت مصلحتك .

فقال الأشعرى : فلو قال الأخ الكافر : يا إله العالمين ، كما علمت حاله فقد علمت حالى فلم راعيت مصلحته دونى ؟

فقال الجبائى للأشعرى : إنك مجنون .

فقال : لا ، بل وقف حمار الشيخ فى العقبة ! وانقطع الجبائى[1] .

(١) أورد ابن خلكان فى كتابه (وفيات الأعيان) هذه المناظرة ثم قال :

وهذه المناظرة دالة على أن الله تعالى خص من شاء برحمته ، وخص آخر بعذابه وأن أفعاله غير معللة بشىء من الأغراض .

٩٠٣ — أمريكة ...

مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار لابن فضل الله العمرى :

قال شيخنا فريد الدهر أبو الثناء محمود بن أبى القاسم الأصفهانى أمتع الله به : لا أمنع أن يكون ما انكشف عنه الماء من الأرض من جهتنا منكشفاً من الجهة الأخرى . وإذا لم أمنع أن يكون منكشفاً من تلك الجهة لا أمنع أن يكون به من الحيوان والنبات والمعادن مثل ما عندنا أو من أنواع وأجناس أخرى .

***

مفاتيح الغيب للرازى فى تفسير (الرحمن على العرش استوى) من رده على أصحاب الجهة :

إن العالم كرة ، فالجهة التى هى فوق بالنسبة إلينا هى تحت بالنسبة إلى ساكنى ذلك الجانب الآخر من الأرض ، وبالعكس ، فلو كان المعبود مختصاً بجهة فتلك الجهة ، وإن كانت فوقاً لبعض الناس لكنها تحت لبعض آخرين ، وباتفاق العقلاء لا يجوز أن يقال المعبود تحت جميع الأشياء .

***

شرح النهج لابن أبى الحديد :

وهى (الأرض) كرية الشكل[1] فمن على حدبة الكرة لا يرى من تحته ، ومن تحته لا يراه ، ومن على أحد جانبيها لا يرى من على الجانب الآخر ، والله تعالى يدرك ذلك كله ، ولا يحجب عنه شىء منها بشىء .

٩٠٤ — فدرى ومثبت فى الجاهلية

الأغانى : سماك بن حرب قال لى يحيى بن متى راوية الأعشى وكان نصرانياً عِبادياً وكان معمراً : كان الأعشى قدرياً ، وكان لبيد مثبتا ، قال لبيد :

(١) الكشاف (الذى جعل لكم الأرض فراشا) : قرأ يزيد الشامى بساطا وقرأ طلحة مهادا ، ومعنى جعلها فراشا وبساطا ومهادا للناس أنهم يقعدون عليها وينامون ويتقلبون كما يتقلب أحدهم على فراشه وبساطه ومهاده ، فان قلت : هل فيه دليل على أن الأرض مسطحة وليست بكرية ؟ قلت : ليس فيه إلا أن الناس يفترشونها كما يفعلون بالمفارش ، وسواء كانت على شكل السطح أو شكل الكرة فالافتراش غير مستنكر لا مدفوع لعظم حجمها واتساع جرمها وتباعد أطرافها وإذا كان متسهلا فى الجبل ، وهو وتد من أوتاد الأرض فهو فى الأرض ذات الطول والعرض أسهل .

من هداه سبل الخير اهتدى   ناعم البال ، ومن شاء أضل

وقال الأعشى :

استأثر الله بالوفاء وبالعدل (م) وولى الملامة الرجلا

قلت : فمن أين أخذ الأعشى مذهبه ؟ قال : من قبل العباديين نصارى الحيرة ، كان يأتيهم يشتري منهم الخمر فلقنوه ذلك .

٩٠٥ — شعبانية

الشريشي في شرح المقامات : حكى الفقيه أبو الحسن أن أباه حدثه أن الأديب أبا الطاهر بن أبي ركب حضر عنده بسبتة بقرية شنان في نزهة شعبان لاستقبال رمضان ، فأكل من حضر ضروباً من الأطعمة والألوان ، فقال أبو الطاهر (رحمه الله تعالى) لأبي عبد الله بن زرقون : أجز :

حمدت لشعبان المبارك شبعة   تسهل عني الجوع في رمضان

فقال أبو عبد الله (رحمه الله تعالى) :

كما حمد الصب المتيم زورة   أطاق لها الهجران طول زمان

فقال أبو الطاهر :

دعوها بشعبانية فلو أنهم   دعوها بشبعانية لكفاني

٩٠٦ — أردت أن أكنسه من القصيدة . . .

ثمرات الأوراق فيما طاب من نوادر الأدب وراق لابن حجة الحموي : قال ابن سناء الملك من أبيات :

صليني وهذا الحسن باق فربما   يعزل بيت الحسن منه ويكنس

فوقف القاضي الفاضل (رحمه الله) على هذه القصيدة ، وكتب إلى ابن سناء الملك من جملة فصل :

... والقصيدة فائقة في حسنها بديعة في فنها ولكن (بيت يعزل ويكنس) أردت أن أكنسه من القصيدة ، فإن لفظة الكنس غير لائقة بمكانها .

فأجاب ابن سناء الملك قائلاً : قد علم المملوك ما نبه عليه مولانا من أمر البيت الذي أراد أن يكنسه من القصيدة . وقد كان المملوك مشغوفاً بهذا البيت مستحلياً له معجباً به معتقداً أن قافيته أميرة ذلك الشعر وسيدة قوافيه ، وما أوقعه في الكنس إلا ابن المعتز . والمولى يعلم أن المملوك لم يزل يجري خلف هذا الرجل ويطلب مطالبه فتتعسر عليه وتتعذر ... وحبك الشيء يعمي ويصم فقد أعماه حبه وأصمه إلى أن نظم تلك اللفظة في تلك الأبيات تقليداً لابن المعتز ...

فأجابه (القاضي الفاضل) بقوله ... ولا حجة في احتجاجه بابن المعتز عن الكنس في بيته فإنه غير معصوم من الغلط ، ولا يقلد إلا في الصواب فقط ... وقد تعصب القاضي السعيد (يعني ابن سناء الملك) على أبي تمام فنقصه حظه ، وأما البحتري فأعطاه أكثر من حقه .

ولو كان هذا موضع العتب لاشتفى   فؤادي ولكن للعتاب مواضع

رحيـــــل..!

للاستاذ حسين محمود البشبيشي

ودّعيني قبلما يدنو رحيـــلى   بلقــاء يغمر القلب حنانا
ودعى البسمة فى الثغر الجميـل   تمــلأ الروح صفاء وأمانا

ودعيني قبلمـــا يذبل زهرى
فغداً يشرد فى الصحراء عطرى
يسأل الأيام عن إلهام شعرى

إن إلهامىَ فى الثغر الجميل
عنـد إشراقك فى يوم رحيلى

ودعينى قبلما أغـــدو غريباً   عن منى قلبى وأشقى باحتراق
لحظــة تبصر عيناى الحبيبا   هى نورى فى دياجير الفراق

كلما فاض بى الشوق لثغرك
وصفاء الذهب الحلو بشعرك
وسجود القلب فى محراب طُهرك

أتمــلى فى ثناياها الحبيبا
سـلوة تسعد فى البعد الغريبا

ودعينى آن يا قلبى وداعى   ودنت ساعة يأسى وفنــائى
ودعينى، آه من نار التياعى   عند ما تصرخ أصداء التنائى

عن قريب منـذرات بارتحالى
أنا أخشاها فيا سـوء المآل
لو دنت منىَ أشباح الزوال

قبلما تهـدأ نيران التياعى
بلقاء منـك من قبـل الوداع

سوف أمضى ذاهلا يوم الرحيل   وسنا عينيك يسرى فى ضميرى
كاشفاً بالنـور والحب سبيلى   كلما أظلم فى عينى مصيرى

لحظات منك من قبـل البعاد
هى خلدى، هى هدبى، هى زادى
فى صباح الشوق أو ليل السهاد

فتعالى قبلما يدنو رحيـــلى
بسنا عينيك والثغر الجميـل

ودعيني واسكبى الصبر بقلبى   علنى أسطيع صبراً فى البعاد
وعسى يهدأ فى الأعماق حبى   بالذى يلقاه من صفو الوداد

عنـد توديعك لى يوم الفراق
وارتواء القلب من خمر التلاق
قبلما تكويه نيران اشتياق

للمنى والسعد من أيام حبى
فتعالى ودعى روحى وقلبى
ودعينى، ودعينى، ودعينى

حـــــديث المدفع..!

للآنسة فدوى عبد الفتاح طوقان

[إذا عبرت (وادى شعيب) وأنت فى الطريق من القدس إلى عمان، عاصمة شرق الأردن، رأيت هناك مدفعاً مطرحاً فى سفح جبل، وهو من بقايا الحرب العظمى الأولى. ويذكر الذين أدركوا تلك الحرب العجب العاجب من بطش هذا المدفع وتحديه إلى أن ضرب الضربة القاضية ...]

عجبت له من أبكم كيف ينطق   بأعجب ما يجلو بيان ومنطق
ويروى عن التاريخ وهو مطرّح   (بوادى شعيب) عبرة ليس تخلق
وقفت به أصغى، وبى لحديثه   وما فيه من هول وزول تشوق
يقول: لقد كانت قناتىَ صلبة   ولى خلق صعب الشكيمة ضيق
أرود شماريخ الجبال ومعقلى   منيع، على هام السحاب محلق
وبى تتقى من بنى الحرب عصبة   إذا رزدق منها وفى هب رزدق
ونازعنى عجب الدل بحوله   فكنت أخا حمق يطيش ويحرق
أفح فحيح الصل أشرع نابه   وفى فيه ما يؤذى النفوس ويرهق
وأرسل من زرق المنايا على الورى   بهول مبيد، ليس فيه ترفق
ولم أدر أن الدهر أزمع ضربة   تريني بأن الدهر أضرى وأزرق
رمانى بها صماء، فانهد كاهلى
ورحت لَقى، والنفس تردى وتزهق
تلفت حولى، لا رجالى هم هم   ولا علاتى فى الشدائد تصدق
ولم تغن عنى فى المآزم صولتى   ولم يجدنى جيش، ولم يحم خندق
وعلّمت كيف البغى يوقى بأهله   على مهلك يردى البغاة ويصعق
وما انفك يرويها لغاد ورائح   عظات، تلقاها النفوس فتشفق
وكم عبرة للظالمين ... وإنما   تنكب عنها الظالمون وأعنقوا

الأدب والفن في أسبوع

ساعة مع الأستاذ وديع البستاني :

كانت ساعة طيبة حافلة قضيتها مع الأستاذ الشاعر وديع البستاني ، وكان الأستاذ قد طار منذ قريب إلى لندن فى مهمة سياسية عربية ، فاغتنمها فرصة للبحث عن أصول الأدب الهندى القديم فى مكتبة المتحف البريطانى ومراجعة الملاحم الهندية العريقة التى عكف على نقلها إلى اللغة العربية سنوات طويلة ، وقد أشرنا إلى خبر هذا فى عددين سابقين من « الرسالة » وبعد أن أنجز الأستاذ مهمته وأخذ طريق العودة إلى وطنه (حيفا) ، آثر النزول فى مصر لقضاء فترة من الوقت ، وقد زرته حيث ينزل بفندق الكونتنتال فى أمسية من أمسيات الأسبوع الماضى فتلقانى بالبشر والسرور وجلس يُفيض على من زاخر علمه ويحدثنى عن آثار جهده فى نقل أصول الأدب الهندى وما وقف عليه فى ذلك من التحقيقات ، فكان حديثاً عامراً قيدت منه بعض الشوارد المفيدة والشواهد النافعة ...

الحمى .. الحرام :

... سألت الأستاذ عن هذه الملاحم الهندية التى عنى بنقلها وعكف على ترجمتها ، فوضع بين يدىّ حزمة ضخمة من المجلدات والطوامير وقال هذه هى الآثار المقدسة . وإذا قلت المقدسة فإنى أعنى أنها ظلت طوال العصر القديم كالحمى الحرام لا يفتح بابه لكل طارق ولا يباح عبوره لكل سالك ، إذ كان البراهمة يحيطون كتب الحكمة القديمة المعروفة باسم « الفيدا » وملحمتى الرامايانا والمهابهاراتا بسياج من التقديس ، فكان البراهمة لا يبيحون الاطلاع عليها إلا لأبناء الطبقات الممتازة ، أما العامة من العمال وغيرهم فكانوا يحللون قتل الشخص منهم إذا اختلط نَفَسه ولو مصادفة بنَفَس من يتلو آية من كتب الحكمة أو يردد بيتاً من الرامايانا والمهابهاراتا ، ولما قام حاكم الهند فى عام ١٧٨٤ بترجمة نشيد السماء ونشيد المعلم (كريشنا) إلى اللغة الإنجليزية نثراً وضع لذلك النشيد مقدمة افتخر فيها بأنه كان أول من أتاح له البراهمة ترجمة هذا النشيد . والحق أن هذا النشيد — وعدد أبياته فى اللغة الهندية القديمة نحو سبعمائة بيت — هو أول ما نقل من الأدب الهندى القديم إلى لغة أخرى ، ومن بعد ذلك توافرت جهود الباحثين فى نقل الملاحم الهندية ، فقد نقلت الرامايانا كاملة إلى اللغة الفرنسية كما ترجمت إلى الإيطالية بقلم أديب إيطالى تحت رعاية أحد الملوك الإيطاليين . ولها ترجمات عديدة فى الألمانية والإنجليزية واللغات الأوروبية الأخرى ، وحين أقول الرامايانا فإنى أقصد رامايانا فاليكى التى نظمت بالسنسكريتية وذلك تمييزاً لها عن ملحمة أخرى لنفس القصة وضعت منذ ثلاثة قرون بلغة أخرى من لغات الهند ، وقد بلغنى أن الأديب المسلم المعظم الدكتور عبد الحق رئيس جمعية ترقى الأدب الأوردى آخذ فى ترجمة رامايانا فاليكى إلى اللغة الأوردية وهى من أشهر اللغات الحية فى الهند اليوم . وأحب أن أقول لك إنى اطلعت على هذه الرامايانا الحديثة مترجمة إلى الإنجليزية ، فوجدتها قد نقلت فى لغة رديئة وتروى قصصاً تطنب فى ذكر راما البطل المعبود ، وقد علمت أخيراً أن هذه الرامايانا أخرجت فى السينما وتكلف إخراجها نحو ٢٧ ألف جنيه ولكنها فى مدى سنة حصلت للشركة التى تولت إخراجها ٢٤٠ ألف جنيه ربحاً .

فتح جديد فى علم الفيلولوجى :

قال الأستاذ : ولقد أدى نقل الملاحم الهندية القديمة إلى اللغات الأوروبية إلى فتح باب جديد للبحث فى فقه اللغة « الفيلولوجيا » وإن من نظر الآن فى قاموس كامل للغة الإنجليزية يدهشه ما يرى من كثرة المفردات الإنجليزية التى ترجع إلى أصل سنسكريتى ، وسيكون لنقل هذه الآثار إلى اللغة العربية نفس الأثر ؛ فقد ثبت لى ثبوت اليقين أن هناك تشابهاً كثيراً بين المفردات فى اللغة العربية واللغة السنسكريتية ، فكلمة « الفيدا » مثلا — أى كتب الحكمة — لا تخلو من صلة بكلمة الفائدة وكلتى دين وديانة ، واسمى « البستانى » يرجع إلى أصل سنسكريتى فقد وردت كلمة « بستان » فى شعر جرير الخطفى ، وهى فى

الأصل مؤلفة من كلمة « بو » و « ستان » ، وأصل « بو » فى اللغة البهلوية — أى الفارسية القديمة — بول ، ومنها الكلمة العربية « فول » وهو البقل المعروف الذى إذا زرع منه حقل كان أبهى ما يكون منظراً وأطيب ما يكون رائحة بزهره الجيل. ومن كلمة « بول » أخذ إسم الزهرة فى الفرنسية والانجليزية ، والمعنى الجامع فى هذا كله : الرائحة الطيبة . وأما كلمة « ستان » فهى أصل لمئات الكلمات فى اللغات اللاتينية وفى اللغة العربية . فإن معناها المكان أو الوقوف ، ومنها هندستان أى مكان الهند وتركستان أى مكان الترك . فكلمة « بستان » معناها مكان الروائح .

أقدم الملاحم وأطولها :

وسألت الأستاذ عما حققه من تاريخ نظم الرامايانا والمهابارانا فقال : إن الرامايانا أقدم من المهابارانا بنحو قرن واحد وعدد أبياتها فى الأصل السنسكريتى ٢٤ ألف بيت فهى أقدم الملاحم العالمية قاطبة . أما المهابارانا فعدد أبياتها ١٢٤ ألف بيت فهى أطول الملاحم العالمية قاطبة ، ولكن عشرات الآلاف من أبيات المهابارانا قد نظمت فى مباحث وموضوعات عامة كأحكام الزواج وآداب الضيافة وتقديم القربان وفلسفة خلاص النفس مما لم يهتم أحد من المترجمين بنقله إلى اللغات الأوربية ؛ إلا أن الحكومة الهندية قد أحدثت ترجمة كاملة نثرية باللغة الانجليزية لهذه الملحمة وطبعت فى كلكتا منذ أكثر من مائة سنة .

وآراء الباحثين تختلف فى تعيين التاريخ للأدب الهندى القديم ، فالمهندون الذين وقفوا حياتهم على البحث فى أصول الأدب السنسكريتى يذهبون إلى أن تاريخ هذا الأدب فى وجوده يتراوح بين ٢٤٠٠ سنة و ٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد ، والبراهمة والمحققون من أبناء الهند يعتقدون أن تاريخ وجوده أقدم من ذلك بكثير . ومهما يكن من شىء فإنى على يقين بأن الرامايانا والمهابارانا قد تقدمتا فى الوجود على الإلياذة ، وإذا كان هناك مظاهر كثيرة من التشابه بين هاتين الملحمتين والإلياذة فإن التاريخ لم يذكر أن فاتحاً فتح الهند قبل الإسكندر المقدونى الذى كان يحمل الإلياذة ويسرح كل أسير يروى بيتاً منها . ومن المعلوم على اليقين أن عهد الإسكندر أحدث من عهد الإلياذة نفسها . وفى أثناء سفرتى الثالثة إلى لندن ، وهى هذه السفرة عنيت بالاطلاع على ما جدّ من الكتب فى مكتبة المتحف البريطانى لاستيفاء البحث فى هذه الناحية ، وقد سرنى أننى لم أجد شيئاً هناك ينقض ما كنت قد وقفت عليه فى هذا الشأن .

فى ضيافة طاغور :

وحدثنا الأستاذ عن شغفه بالأدب الهندى القديم والروح الهندية الفياضة بالتأمل العميق وهو لما يزل فى مطلع شبابه فقال : لقد أخذت وأنا فى طراوة العمر بذلك النغم الذى تبينته فى الأدب الهندى والفلسفة الهندية وحملتنى نفسى فى هذا السبيل على أن أعيش عيشة أهل الهند وأن أنسك نسكهم فسافرت إلى هناك وقضيت شهرين فى ضيافة طاغور ، وأخذت أروض نفسى على حياة الهنود الناسكين ، وكنت قد أحسست فى حنايا قلبى بكل المشاعر الإنسانية كشعور الحب وشعور العاشق وشعور الصديق ولكنى لم أكن قد أحسست بعد شعور الوالد ، ومن ثم رغبت فى الزواج وحملنى الإحساس بشعور الأبوة أن أكون أبا ، وتزوجت وأقلعت عن حياة النسك ولكنى بقيت مندمجاً فى تلك الروح الهندية العميقة مأخوذاً بصفائها ، ومن ثم كان شغفى بتلك الآداب الهندية القديمة ونقلها إلى اللغة العربية إذ أنها لم تنقل إلى اللغة العربية بل لا تزال مجهولة لأبناء العروبة على حين قد عرفها أبناء اللغات الأخرى .

هذه الملاحم :

قال الأستاذ وقد نقلت الرامايانا أعنى رامايانا فالميكى والمهابارابا . والنالا ودامينتى وهى إحدى القصص الخمس المروية فى المهابارانا وقد ثبت أن ثلاثة من أبواب كليلة ودمنة وردت قصصها فى المهابارانا ووقع تعريبى لنالا ودامينتى فى ١٢٥٤ بيتاً ، كما نقلت مسرحية الشاكونتالا وقد وضع هذه المسرحية شاعر عاش بين القرنين الثالث والرابع قبل الميلاد اسمه قاليداس ، كما عنيت بنقل الأساطير الهندية القديمة المعروفة بكتب الحكمة وهى ترجع فى تاريخها إلى ما قبل وجود الملاحم ... هذا وقد أسمعنى الأستاذ جملة فصول من هذه الملاحم التى نقلها شعراً فأعجبنى أنه استطاع أن يكون شاعراً يؤثر الديباجة الرائقة والأسلوب الشعرى الموسيقى حتى لقد فاق فى ذلك البستانى الكبير فى ترجمة الإلياذة . وقد استرعى نظرى أنه نقل من الرامايانا فصلا

عن « وصف الشتاء فى بنشقانى » فآثر نقله بنغمه الهندى على بحر غير بحور الشعر المعروفة فى العربية ، وقد أخبرنى أنه آثر ذلك ليعطى صورة صادقة من النغم الهندى والروح الهندية .

فى الدين الهندي :

وسألته عما يقال عن المعبود (كريشنا) فى الأدب الهندى وهل هو يقابل (أبولو) فى أدب اليونان . فقال لى أن كريشنا لا يقابل أحداً من آلهة اليونان أو اللاتين ، وإنما هو التجسد الثامن عند الهنود ، ويعتبر بوذا التجسد التاسع ؛ أما التجسد العاشر فلم يظهر بعد وعلامة ظهوره عندهم أن تقوم الملوك ملكا على ملك وأن تطلب المرأة مساواتها بالرجل . ويعتبر راما التجسد السابع كما اعتبر المسيح تجسداً إذ نسب إلى الله أباً وهذه فكرة هندية قديمة . فإن كلا من كريشنا وراما نطفة الإله فشنوا الأقنوم الثانى فى الثالوث الهندى المؤلف من براهمة وفشنوا وشيوا وهو أقنوم موحد (برهم) ، فالدين الهندى دين توحيد لا دين تعديد .

لغة القرآن :

وانتقل الأستاذ يحدثنى عن ذكرياته فى الحياة ونشأته فى الأدب فقال : لقد نشأت فى رعاية ابن العم الشيخ سليمان البستانى معرب الإلياذة وكنت أقول الشعر وكان يسددنى فى طريقه ، فلما علم أنى بلغت فيه مبلغاً نادانى فى يوم وقال لى يا وديع ، لقد سرت فى طريق الشعر وبلغت فيه مبلغاً ، ولكن هل تحسن القراءة ؟ ثم ناولنى كتاباً وقال اقرأ ، فقرأت ، ثم قال لا بأس ، ولكن أنصحك يا وديع أن تحفظ كثيراً من القرآن الكريم ، وأن تقف على أحكام تجويده وتلاوته وتروض لسانك عليه فإن ذلك مما يقوم قراءتك ، وإن ذلك هو الأساس السليم لتقويم اللسان فى القراءة . وإنى قد أخذت نفسى بذلك فى صدر شبابى وهكذا أبناء الأسرة البستانية الذين أمسكوا أنفسهم بالعناية بالأدب ، فأخذت بنصيحته ونفذتها

وبعد ألا ترى أيها القارئ أنها كانت ساعة حافلة بالأدب والعلم ؟ أجل وإنى لأسدى صادق الشكر عليها إلى الأستاذ الجليل .

المجمع اللغوى يؤبن عضوين من أعضائه :

أقام مجمع فؤاد الأول للغة العربية هذا الأسبوع حفلة تأبين فى قاعة الجمعية الجغرافية الملكية لفقيدى العلم والإنسانية المغفور لهما الشيخ مصطفى عبد الرازق والدكتور على ابراهيم باشا ، وبعد أن افتتح معالى أحمد لطفى السيد باشا رئيس المجمع الحفل بكلمة رصينة فى تقدير مناقب الفقيدين العظيمين وتصوير الخسارة بفقدهما تقدم الدكتور على توفيق شوشة باشا فألقى كلمة خاصة بتأبين المغفور له على إبراهيم باشا استهلها بالحديث عن حياة الفقيد طالباً ثم دكتوراً صغيراً اختار مدينة أسيوط ميداناً لنشاطه . ولكنه لم يلبث أن انتقل إلى القاهرة إذ ذاع صيته وطبقت شهرته فافتتح مستشفى يحمل إسمه فى شارع الصنافيرى فلم يكن هذا المستشفى مجرد عيادة بل كان كذلك مجال خير عميم للتخفيف من ويلات الإنسانية وميدان نشاط ثقافى رائع إذ صدرت منه أول مجلة طبية وتم فيه إنشاء الجمعية الطبية المصرية ، على أن الفقيد ظل طول حياته رجل الإنسانية وخادمها ، فكان دائماً المجاهد فى مكافحة الأمراض المتوطنة والأمراض الوافدة ، وكان دائماً يعمل فى حرص بالغ على رفع صوت مصر فى المؤتمرات الدولية ، ثم كان إلى جانب عبقريته الطبية صاحب ذوق فنى وطبيعة جمال النفس وصفاء الذهن وقد تجلى هذا فى شغفه رحمه الله بالتحف النفيسة والآثار الغالية الجميلة

وألقى الأستاذ أحمد أمين بك كلمة التأبين للمغفور له الشيخ مصطفى عبد الرازق فقال : رحم الله صديقنا وزميلنا مصطفى فقد كان ممتازاً فى خلقه ؛ ممتازاً فى نفسه ؛ ممتازاً فى علمه ، أما امتيازه فى خلقه فقد نأى به عما يتخلق به أمثاله من أبناء الحسب والنسب والغنى والجاه فما بطر ولا تعجرف ، وأما امتيازه فى نفسه فأنه يتجلى فى جمعه بين القديم والجديد ، وكذلك امتيازه فى علمه فإنه يظهر فى أسلوبه الذى كان يؤثره واختيار اللفظ الأنيق فى تدبيج عبارته . ؛ ثم تحدث عما كان يتحلى به من كرم النفس وسماحة اليد وبذل العون المحتاج ، وانتقل بعد ذلك فتحدث عن حياة الفقيد ونشأته الأولى فى كنف الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ثم تنقله بعد ذلك فى مدارج الحياة حتى انتهى إلى مشيخة الأزهر ثم قال إنه كان فى هذه المرحلة الأخيرة من حياته برماً لما يحيط به من الصعاب فى القصد إلى إصلاح الأزهر ، وكان يطوى نفسه على كثير من الخير فى هذا السبيل لولا أن عاجلته المنية ...

رحم الله الفقيدين الجليلين اللذين خسرتهما مصر ، وخسرهما العلم ، وفقدتهما الإنسانية ...

« الجاحظ »

الكتب

المشكلة الألمانية

[دراسة سياسية اقتصادية اجتماعية]

تأليف الأستاذ سامى عازر جبران المحامى

للاستاذ عبد الرحمن الرافعى بك

الأستاذ سامى عازر جبران محام شاب نابه لم يقصر نشاطه على المحاماة ؛ بل له فى الصحف والمجلات — وفى المجتمعات أحياناً — بحوث فى المسائل السياسية والاجتماعية لها طابع خاص من الدرس والتمحيص . ولعله اقتبس هذه الميزة عن والده المحامى الكبير الأستاذ عازر جبران، فقد كانت أحاديثه ومناقشاته فى مجلس الشيوخ متسمة باتساع فى الأفق وإحاطة بدقائق الموضوعات التى يطرقها . ولقد زاملته وزاملنى فى هذا المجلس وقتاً ما . ووددت لو استمرت هذه الزمالة . ولكن الحكومة لم تجدد تعيينه بعد انتهاء مدة عضويته . وهو ثالث ثلاثة كان عدم تجديد تعيينهم حجة لى على الذين يرمون هذا الشعب بأنه لا يحسن اختيار الأكفاء لتمثيله فى انتخابات حرة . وقلت لهؤلاء اللاغين أن يخففوا من غلوائهم فى تجريح الشعب . وضربت لهم الأمثلة على أن اختيار الحكومة أمعن فى الخطأ وعدم تقدير الكفايات من اختيار الشعب إذا تركت له حريته فى الانتخاب . ومن هذه الأمثلة عدم تجديدها تعيين ثلاثة من الشيوخ . منهم الأستاذ عازر جبران وسلم اللاغون بأن حجتى مقبولة بالنسبة لهؤلاء الثلاثة .

« المشكلة الألمانية » دراسة منسقة مستفيضة للأستاذ سامى أخرجها فى كتاب متوسط الحجم . عالج فيه مسألة من أهم المسائل العالمية التى تشغل أفكار الناس كافة . وهى الطريقة التى يحسن أن تعامل بها ألمانيا بعد هزيمتها فى الحرب الأخيرة . وقد طرق المؤلف هذا الموضوع من شتى نواحيه . وعرضه على القارىء عرضاً شائقاً ، وقرن كل دراسة لفصوله بالرأى الذى يرتئيه . ويبدو لمن يقرأ الكتاب أن مؤلفه درس المسائل التى عرض لها دراسة مستفيضة . وأحاط بالبحوث التى أخرجها علماء السياسة وأقطابها . فجاء كتابه ثمرة طيبة لدراسات وتأملات عميقة . وفى الحق أن القارىء لهذه الدراسات يسره أن يرى فيها وفى مثلها صورة من جهود الشباب فى نشر الثقافة السياسية والاجتماعية بطريقة علمية تأليفية .

ولا يرى الأستاذ سامى أخذ ألمانيا بالشدة المتناهية فى الانتقام وساق على ذلك أدلة مقنعة ، أهمها أن المعاملة الصارمة التى عوملت بها عقب الحرب العالمية الأولى كانت من العناصر التى ولدت الحرب العالمية الثانية . وأن مسئولية الحربين لا يمكن أن تحصر فى سياسة ألمانيا وحدها . وأن نظرية تفرد شعب بالذات بصفة الاعتداء والوحشية نظرية تعسفية ؛ لأن أصل شعوب الأرض واحد أياً كان ذلك الأصل . ولأن النازية «الوطنية الاشتراكية» هى سمة ألمانية للفاشية ، والفاشية لا هى بالألمانية ولا هى بالإيطالية ولا هى باليابانية ؛ ولكنها ظاهرة دولية انتشرت فى مختلف بقاع العالم .

وساق الأستاذ سامى الأدلة على أن الشعب الألمانى شعب مسالم بطبعه . لم يكن راغباً فى الحرب بل كان يميل عنها وينفر منها . ولكن النازية هى التى دفعته إلى الحرب . فمن الإنصاف أن لا يؤاخذ الشعب بجريرة النازية . وأن مهمة الديمقراطية المنتصرة ليست فى تحطيم الشعب الألمانى بل فى تحطيم النازية وحدها . أما إذا هى عملت على تحطيم الشعب الألمانى فإن هذا سيثير فى نفسه روح البغض والكراهية مما يمهد فى المستقبل إلى حرب عالمية أخرى . وأن الاحتلال العسكرى الطويل فى ألمانيا يعطل الثورة الاجتماعية المرتقبة فيها والتى تميل بها إلى الديمقراطية .

ومن آرائه الموفقة قوله إنه لا يمكن أن نتصور أن أية محكمة دولية أو أية حكومة أوروبية يصح أن تكون أكثر من ستار شفاف لديكتاتورية يفرضونها على العالم ، وإن التاريخ يعلمنا أنه من النادر أن استعمل القوى قوته استعمالا محايداً للصالح العام ، وأن الحل الوحيد الحاسم يتلخص فى تحويل ملكية القوات الحربية من ملكية الدول منفردة إلى ملكية دولية عامة . لأنه طالما أن كل دولة تملك قواتها الحربية وأسلحتها فسيظل «توازن القوى» هو الشغل الشاغل للسياسة الدولية .

وقارن الأستاذ سامى بين موقف المنتصرين فى أعقاب الحرب

العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية ، وموقفهم فى مؤتمر فينا سنة ١٨١٤ — ١٨١٥ عقب سقوط نابليون وانتصار الحلفاء على فرنسا وقتئذ ، وكيف عوملت فرنسا معاملة معتدلة فقبلت شروط الصلح ونفذتها راضية دون أن تفكر فى الانقضاض عليها ، فلم تنشب فى أوروبا حرب عالية كبرى زهاء مائة عام . على عكس ما وقع فى مؤتمر فرساى سنة ١٩١٩ فإن شروط المنتصرين القاسية مع ألمانيا جعلت الحرب العالمية الثانية تقوم قبل انقضاء ربع قرن على الحرب العالمية الأولى .

وبعد فإنى أهنئ الأستاذ سامى عازر جبران بهذا الكتاب القيم . وبهذا الجهد الوفق فى البحث والتفكير ، والعرض والتحليل وحسن الأداء . وأرجو له المزيد فى الإنتاج والتأليف .

عبد الرحمن الرافعى

معجم أدباء الأطباء

تأليف الأستاذ الباحث محمد الخليلى

موضوع هذا الكتاب يقتصر على طائفة خاصة من الأعلام هم أدباء الأطباء ، والعلاقة بين الأدب والطب علاقة وثيقة ، وكثيرون هم الذين نبغوا فى الناحيتين وبرزوا فى الصناعتين ، وقد كان العرب يعتبرون الطب أحد فروع الأدب ، وكانت الموسيقا وكل وسائل الطرب مما يستخدمه الأطباء فى مهنتهم ، ونظراً لأن آثار هؤلاء الأطباء الأدباء قد تبعثرت فى بطون الكتب القديمة عنى الأستاذ محمد الخليلى من علماء النجف الأشرف بجمع تراجمهم وآثارهم فى معجم شامل أخرج الجزء الأول منه ، وهو الذى نقدمه اليوم إلى القراء .

وقد ترجم الباحث الفاضل فى معجمه هذا لسائر الأطباء الذين عرفوا بالأدب وكان لهم فيه أثر من شعر أو نثر ، سواء فى ذلك الذين نبغوا بالمشرق أو بالأندلس أو بشتى الأمصار والأقطار العربية وسواء فى ذلك الذين ظهروا فى الجاهلية أو فى صدر الإسلام أو فى العصر الحديث ، فأنت تقرأ فى هذا الجزء من المعجم مثلا ترجمة ابن حذيم التيمى الطبيب العربى الجاهلى إلى جانب تراجم الدكاترة ابراهيم ناجى وأحمد زكى أبو شادى وشبلى شميل من أبناء هذا العصر والمؤلف يوجز فى بعض التراجم ويفيض فى بعضها ، وذلك على حسب ما يقع له من المصادر ، وهو يعنى بإسناد كل رواية إلى صاحبها وكل ترجمة إلى مصادرها ، وذلك مظهر من مظاهر الأمانة العلمية ، وقد أورد التراجم على نسق الحروف الأبجدية ، وقسم معجمه إلى جزءين ، انتهى فى الجزء الأول الذى بين أيدينا إلى حرف العين ، على أن يستوفى البقية فى الجزء الثانى ، ونحن إذ نشكر للمؤلف النجفى الفاضل عمله الجليل ، ونطرى فكرته وجهده فى إخراج هذا المعجم المفيد نرجو أن يوفق لإصدار الجزء الثانى فى القريب .

بين العلم والأدب

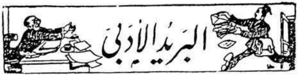
تأليف الأستاذ قدرى حافظ طوقان

إذا تناول القارئ هذا الكتاب وهو من تأليف الأستاذ الباحث قدرى حافظ طوقان من أبناء فلسطين النابغين وجده حجة لأبناء الشرق العربى فيما كان لهم من مجد سالف وفيما أسدوا إلى المدنية والمعرفة من فضل سابغ ، فإن القسم الكبير من هذا الكتاب إنما هو فى بحث التراث العربى والمآثر العربية فى العلم والمعرفة وإطلاع أبناء العروبة على ما خلف آباؤهم من آثار نافعة يجب أن تكون ضمن أسلحتهم فى تحقيق رسالتهم القومية التى ينشدونها فى هذه الأيام .

ففى هذا الكتاب أحاديث ومقالات عن التراث العربى والحاجة إلى إحيائه ، والأدب والرياضيات ، والملاحة عند العرب ، وابن ماجد أسد البحر الهائج ، وبيت الأميرة والمهدون للاكتشاف والاختراع ، وإلى جانب هذا مقالات عن نيوتن والجمعيات العلمية فى انجلترا ، وحول القنبلة الذرية إلى غير ذلك من المقالات والفصول المختلفة التى تتقارب فى الموضوع والغرض . وقد سبق للاستاذ المؤلف أن نشر هذه المقالات وأذاع بعضها فى أحاديث الإذاعة ولكنه أحسن إذ جمعها فى سفر لتكون مرجعاً يسهل تناوله .

والواقع أننا فى نهضتنا قد عنينا بالدراسات الأدبية عناية واسعة ، ولكن عنايتنا بتراثنا العلمى وبالثقافة العلمية لا تزال ضئيلة فاتجاه الأستاذ قدرى إلى هذه الناحية اتجاه محمود نرجو أن يتسع أثره ويعم نفعه .

محمد فهمى عبد اللطيف



العام والسنة :

من أحمد بن يحيى إلى الأستاذ لطفي عثمان — من أين جاءهم أن (السنة من أي يوم عددته إلى مثله والعام لا يكون إلا شتاء وصيفاً) حتى كان ما على غلاف مجلة الهلال الغراء : (أسست دار الهلال منذ نيف وخمسين عاماً) خطأ والصواب (أن يقال منذ خمسين سنة) ؟!

وماذا يقولون في قوله تعالى عن نوح (فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً) ؟ هل يجب أن يكون استخدام العام بمعنى السنة أو أن تكون أعوام نوح مشتملة على شتاء كامل وصيف كامل بخلاف أعوام مجلة الهلال وأن يكون الاستثناء منقطعاً — هل يجب كل هذا ليصح قول أحمد بن يحيى في الفرق بين السنة والعام ؟

وماذا يقولون أيضاً في قوله تعالى (أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مئة عام ثم بعثه . قال كم لبثت؟ قال لبثت يوماً أو بعض يوم، قال بل لبثت مئة عام) ؟ أكان ابتداء الحساب مضبوطاً بحيث شمل كل عام صيفاً وشتاء أم هو عد من أي يوم إلى مثله ؟ أم أن السنة والعام لا فرق بينهما وإن الصحيح هو مذهب العوام لا مذهب أحمد بن يحيى؟

وما قيل في هاتين الآيتين الكريمتين يقال في قوله تعالى : (وفصاله في عامين) ولا أحسب أن أحداً فهم من هذه الآية أنه إذا اتفق أن ولد المولود في بعض شتاء أو بعض صيف أن يلغى هذا ويبدأ بحساب صيف كامل وشتاء كامل ليتحقق معنى العام بل الكل — كل من رأيت قوله من الفقهاء — يقول بأن مدة الرضاع سنتان أي ٢٤ شهراً ، وما الداعي لأن يقول عامين ويقصد سنتين إلا أن يكون العام هو السنة ؟ ويقال أيضاً في سائر الآيات الكريمة التي ورد فيها ذكر العام .

فلسطيني

في اللغة :

في العدد (٧١٣) من « الرسالة » الغراء قصيدة للأستاذ محمد علي مخلوف بعنوان « أوهام » يقول في بيت منها :

وقلبي في نهر الحياة سفينة تميد على صم الصخور ولا ترمى

باستعمال الفعل (ترمى) في آخر البيت بالياء بدل الواو ، إذ المعلوم أن الفعل (رسا) من باب عدا وسما أيضاً والمضارع منهما هو (يرسو) وليس يرمى بالياء كما ذكر الأستاذ .

ولا أظن القافية تسمح للأستاذ الشاعر بما أورده مخالفاً لقواعد اللغة ، وهي ثابتة .

هذا ، وللأستاذ « مخلوف » تحية الأديب ، والسلام .

عدنان أسعد

جوائز فؤاد الأول وجوائز فاروق الأول :

ذكرنا في عدد مضى أن إرادة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول قد اقتضت أن تنشأ ثلاث جوائز مالية سنوية قيمة كل منها ألف جنيه يطلق عليها إسم (جوائز فؤاد الأول) وتخصص كل منها لصاحب أحسن عمل أو إنتاج في الآداب والعلوم والقانون ، ويكون موعد منحها في اليوم الثامن والعشرين من شهر أبريل من كل عام لمناسبة ذكرى وفاة المغفور له صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول . ورداً على هذه التحية الملكية الكريمة للعلم وأهله أنشأت وزارة المعارف ثلاث جوائز سنوية قيمة كل منها ألف جنيه تمنح لصاحب أحسن عمل أو إنتاج في فرع من الفروع الرئيسية للعلوم وتسمى (جوائز فاروق الأول) ويكون موعد منحها في اليوم الحادي عشر من شهر فبراير من كل عام ابتهاجاً بعيد الميلاد الملكي السعيد . وبمقتضى قرار وزير المعارف بتاريخ ١٩٤٦/٣/٢٧ تألفت برياسته لجنة لوضع شروط المسابقة ومنح الجوائز ، وقد اجتمعت اللجنة أربع جلسات وانتهت إلى إقرار الشروط التي ستعلنها على الناس . وقد انعقد إجماع اللجنة على أن الجوائز تهدف أول ما تهدف إلى العلم النافع في الحياة المصرية اللازم لتطورها والذي يساعد على استثمار مصادر الثروة المصرية وزيادة الإنتاج .

ولهذه الجوائز لجنة دائمة تؤلف من وزير المعارف رئيساً وستة أعضاء يمثلون الفروع المختلفة ، وتختار اللجنة الدائمة في كل عام لجاناً لفحص الإنتاج المقدم في كل مادة يعين أعضاؤها بقرار

من وزير المعارف ؛ وهذا هو القرار الوزارى لتعيين أعضاء هذه اللجان لهذا العام :

وزير المعارف العمومية

بعد الاطلاع على المرسوم الملكى الصادر فى ١٥ شوال سنة ١٣٦٥ (١١ سبتمبر سنة ١٩٤٦) بإنشاء جوائز فؤاد الأول وجوائز فاروق الأول وعلى البند الخامس من شروط منح هذه الجوائز الملحقة بهذا المرسوم .

وبعد موافقة اللجنة الدائمة لجوائز فؤاد الأول وجوائز فاروق الأول المؤلفة بمقتضى المرسوم الملكى الصادر فى ٤ محرم سنة ١٣٦٦ (٢٨ نوفمبر سنة ١٩٤٦) . قرر :

المادة الأولى

تؤلف لجنة الفحص لجائزة فؤاد الأول للآداب عن سنة ١٩٤٧ من :

حضرة صاحب المعالى أحمد لطفى السيد باشا : رئيساً

» الدكتور إبراهيم بيومى مدكور
» الأستاذ أحمد حسن الزيات
» صاحب السعادة أنطون الجميل باشا
» صاحب العزة عبد الحميد العبادى بك
» الأستاذ محمد أحمد خلف الله
» الأستاذ محمد توفيق دياب
» صاحب السعادة الدكتور محمد حسين هيكل باشا
» صاحب العزة محمد عبد الواحد خلاف بك
» صاحب العزة الدكتور محمد عوض محمد بك
» صاحب السعادة الدكتور منصور فهمى باشا

أعضاء

ويتولى سكرتيرية هذه اللجنة حضرة صاحب العزة الدكتور محمد عوض محمد بك يعاونه حضرة الأستاذ على أدهم .

المادة الثانية

تؤلف لجنة الفحص لجائزة فؤاد الأول للقانون عن سنة ١٩٤٧ من :

حضرة صاحب المعالى الدكتور محمد بهى الدين بركات باشا : رئيساً

» صاحب العزة أحمد حلمى بك
» صاحب العزة جندى عبد الملك بك
» الدكتور حسن أحمد بغدادى
» الأستاذ حلمى بهجت بدوى
» صاحب العزة سليمان حافظ بك
» صاحب السعادة سيد مصطفى باشا
» صاحب العزة عبد الرحيم غنيم بك
» صاحب العزة عبده محرم بك
» صاحب العزة على بدوى بك
» صاحب السعادة على زكى العرابى باشا
» صاحب العزة محمد الوكيل بك
» صاحب السعادة محمد كامل مرسي باشا
» صاحب العزة مصطفى مرعى بك
» الدكتور وحيد رأفت

أعضاء

ويتولى سكرتيرية هذه اللجنة حضرة صاحب العزة عبده محرم بك يعاونه حضرة الدكتور حسن أحمد بغدادى .

المادة الثالثة

تؤلف لجنة الفحص لجائزة فؤاد الأول للعلوم الطبيعية والرياضية والفلكية عن سنة ١٩٤٧ من :

حضرة صاحب السعادة حسن صادق باشا : رئيساً

» صاحب العزة الدكتور أحمد عبد السلام الكرادنى
» صاحب العزة سيد فهمى بك
» الدكتور صادق بشارة
» صاحب العزة عبد الرحمن الشناوى بك
» صاحب العزة عبد العزيز أحمد بك
» صاحب السعادة عبد المجيد عمر باشا
» الدكتور عدنان والى
» صاحب العزة الدكتور محمد رضا مندور
» صاحب العزة محمد صادق جوهر بك
» الدكتور محمد مرسى أحمد
» الأستاذ محمود على فضلى

أعضاء

ويتولى سكرتيرية هذه اللجنة حضرة الدكتور محمد مرسى أحمد يعاونه حضرة الدكتور إبراهيم حلمى عبد الرحمن .

المادة الرابعة

على سعادة وكيل الوزارة المختص تنفيذ هذا القرار .

وزير المعارف

السنهورى

مطبعة الرسالة